# الباب الأول

## صور الاختلاط في الواقع المعاصر

### الفصل الأول: الاختلاط في التعليم

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الاختلاط في التعليم العام
- المبحث الثاني: الاختلاط في التعليم الجامعي

### الفصل الثاني: الاختلاط في العمل الوظيفي

- المبحث الأول: عمل المرأة وصور الاختلاط
- المبحث الثاني: آثار الاختلاط في العمل الوظيفي

### الفصل الثالث: الاختلاط في المجالات الاجتماعية والثقافية والرياضية

- المبحث الأول: الاختلاط في وسائل المواصلات
- المبحث الثاني: الاختلاط في المحاضرات والندوات والمؤتمرات
- البحث الثالث: الاختلاط في الأعراس والاجتماعات العائلية
- المبحث الرابع: الاختلاط في الرياضة والترفيه

obeikan.com

obeikan.com

# الفصل الأول

# الاختلاط في التعليم

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: الاختلاط في التعليم العام**
- **المبحث الثاني: الاختلاط في التعليم الجامعي**

obeikan.com

obeikan.com

# المبحث الأول

# الاختلاط في التعليم العام

## المطلب الأول

## دور التعليم في صياغة العقول والأخلاق

مما لاشك فيه أن للتعليم دورًا خطيرًا في صياغة العقول والأخلاق، وله أثر كبير في إيجاد تحولات كبرى في حياة الأمم؛ لذلك عني الإسلام به أشد العناية، وحث عليه الناس رجالًا ونساء، ويكفي أن تعلم أن أول آية نزلت هي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١ـ٥].

فرفع الله قدر العلم وأهله، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة:١١]. والمرأة داخلة في هذا الخطاب حسبما هو معلوم، فالشريعة وأحكامها هي للرجال والنساء على حد سواء مالم يأتِ مخصص لأحدهم، ولقد فهم الصحابة ذلك، فقد أخرج الإمام مسلم وغيره من حديث أم سلمة أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أيها الناس**»

فقلت للجارية: استأخري عني، قالت: إنما دعا الرجال، ولم يدعُ النساء، فقلت: إني من الناس[1].

إن التعليم النظامي المعاصر أشد أثرًا وأقوى خطرًا من ذي قبل؛ لأنه تعليم ممنهج تديره دول، وتشرف عليه وزارات وهيئات ذات ميزانيات ضخمة، بل إن كثيرًا من دول العالم سنت ما يسمى التعليم الإجباري، حيث تلزم فيه الآباء إرسال أبنائهم إلى المدارس ابتداءً من عمر يحدده القانون، ومن يمتنع عن ذلك يُعدّ مخالفًا للقانون، ومعظم هذه الدول تُخضِع المرحلة الابتدائية وكذلك المتوسطة للتعليم الإجباري بخلاف ما كان عليه في الماضي، فلم يكن هناك شيء من ذلك بتاتًا، فلم يكن التعليم يتبع جهة معينة، ولم يكن ممنهجًا ولا إجباريًّا كما هو حاصل اليوم.

لذا، فإن أي فكر أو سلوك يراد له أن يستقر في أذهان المجتمع بعامة والطلاب بخاصة، فإنما يتم عن طريق التعليم النظامي العصري الممنهج؛ لذا فقد استغل دعاة الاختلاط هذا الأمر، وحرصوا على إدخاله في التعليم.

في بادئ الأمر لم يكن في مدارس التعليم العام اختلاط صريح وواضح لصعوبة تطبيق هذه الفكرة ولغرابتها على المجتمع المسلم، فالاختلاط في التعليم لم يكن بالأمر المعهود في العالم الإسلامي وحتى نعلم ذلك فقد ذكر الإمام الذهبي في سياق كلامه عن التعليم وطلب العلم وعلاقة المرأة بالرجل في طلب العلم، فقال: «وقد سمعنا من عدة نسوة، وما رأيتهن وكذلك روى عدة من التابعين عن عائشة، وما رأوا لها صورة أبدًا»[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٦١١٤ في باب إثبات حوض نبينا وصفاته (٧/ ٦٦)، وأخرجه النسائي برقم ١١٤٦٠، سورة الصافات (٦/ ٤٤٩)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٦٥٨٨ في مسند حديث أم سلمة، (٦/ ٢٩٧).

(٢) **سير أعلام النبلاء للذهبي** (٧/ ٣٨) نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

وانظر إلى الإمام مالك إمام دار الهجرة، فقد كانت له ابنة تحفظ علمه، وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذ نقرت الباب، فيفطن مالك، فيردّ عليه[1]. وكذلك ما جاء في مسند أحمد قال: حدثنا عبدالله أبوعبدالرحمن قال: سمعت أبي يقول: جاء قوم من أصحاب الحديث، فاستأذنوا على أبي الأشهب، فأذن لهم، فقالوا: حدثنا، قال: سلوا، فقالوا: ما معنا شيء نسألك عنه، فقالت ابنته من وراء الستر: سلوه عن حديث عرفجة بن أسعد أصيب أنفه يوم الكلاب[2].

ويذكر عن تلميذة لأبي سعيد الخراز قالت: كنت أسأله مسألة والإزار بيني وبينه مشدود (تعني أنه كان هناك ستارة بينها وبين شيخها) فاستفزني حلاوة كلامه، فنظرت في ثقب من الإزار، فرأيت شفته، فلما وقعت عيني عليه سكت، وقال: جرى ها هنا حدث، فأخبريني ما هو، فعرفته أني نظرت إليه، فقال: أما علمت أن نظرك إلي معصية، وهذا العلم لا يحتمل التخليط[3].

وهكذا كان الحال في بلاد الإسلام «فإن أهل الإسلام لا عهد لهم باختلاط نسائهم بالرجال الأجانب عنهن، وإنما قدحت أول شرارة للاختلاط على أرض الإسلام من خلال المدارس الاستعمارية الأجنبية والعالمية التي فتحت أول ما فتحت في بلاد الإسلام في لبنان... وقد علم تاريخيًّا أن ذلك من أقوى الوسائل لإذلال الرعايا

(١) حمود نور سويد: **تعليم المرأة**، (ص٩٩)، دون طبعة ولا تاريخ.

(٢) إسناده حسن، عبدالرحمن بن طرفة ـ وإن روى عنه اثنان، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، ووثقه العجلي ـ وقد حسن حديثه للترمذي، وقال الآجري: سئل أبوداود عن عبدالرحمن بن طرفة: حديث أبي الأشهب؟ قال: هذا حديث قد رواه الناس. قلنا: وقد أدرك جدَّه كما صرح بذلك أبوالأشهب عقب هذه الرواية، وذكر البخاري في **تاريخه الكبير** (٤/ ٦٤) أنه رأى جده قلنا: فحملوا ذلك على الاتصال، والله أعلم، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه، فقد روى له أصحاب السنن خلا ابن ماجه. أبوالأشهب: هو جعفر بن حيان العطاردي.

(٣) **صفة الصفوة** (٢/ ٤٣٦) الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ـ١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري ـ د. محمد رواس قلعه جي.

وإخضاعهم بتضييع مقومات كرامتهـا وتجريدها من الفضائل»[1]. لذلك، فإن المرأة إذا اضطرت إلى أن تتعلم على يد رجل، فإنهم يضعون حاجزًا بينها وبينه، ولقد جرى العمل على هذا إلى عصرنا الحاضر خاصة في المملكة، ثم استبدل بالإزار الصوتيات، وكذلك الدائرة التلفزيونية المغلقة، فأصبح الأستاذ يدرس الطالبات من خلالها، وكذلك تم ابتكار طريقة جديدة وعملية جدًّا وغير مكلفة ماديًّا، وهي وضع زجاج يمنع الرؤية من جهة واحدة دون الأخرى، فالطالبات يرين الأستاذ وشرحه، وما يستخدمه من وسائل تعليمية دون أن يراهن هو.

وكذلك حتى في العالم الغربي، فإذا نظرنا في بدايات التعليم الحديث عند الغربيين نجده قد نشأ ابتداءً محافظًا على مبدأ الفصل بين الجنسين، ثم حدث الاختلاط عندهم لظروف عدة واعتبارات تفسر سبب وقوعه، ولا تسوغه.

لقد تغيرت نظرة أوروبا إلى الاختلاط بين الجنسين بعد الثورة الصناعية، فبعد أن كانت المرأة الأوروبية لا تعرف الخروج إلى التعليم والعمل، دفعتها الظروف إلى الوقوف بجانب الرجل لمساعدته، وبعد أن كانت البنت الأوروبية تسير وفق تعاليم الكنيسة التي تمنع الاختلاط بين الجنسين دفعتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية إلى مزاولة التعليم مع التلميذ الأوروبي، وفيما يلي إشارة إلى أهم دول أوروبا ودخول الاختلاط إلى مدارسها.

ففي فرنسا: يشير ديميتري يمنارد إلى قانون المدارس الصغيرة في فرنسا، وذلك في القرن الرابع عشر الذي كان موجهًا إلى المعلمين، فيقول: إن البند رقم (٩) كان يتضمن كل المعلمين بمنع ضم البنات إلى مدارسهم، والمعلمات بمنع ضم البنين مهما كانت الأعذار والحجج إلا في حالة فقدان المدارس السالفة (المنفصلة لكل جنس على

(١) **حراسة الفضيلة**، بكر أبو زيد، (ص٩٨)، دار العاصمة، ط٣، ١٤٢١هـ.

حدة) وسرعان ما تغير الوضع مع مجيء الجمهوريين الذين نادوا بالمساواة في حقوق التعليم بين الجنسين، ومن ثم اختلاط المدارس الذي كان له شكل خاص يوضحه البند رقم (٣٦) الذي جاء فيه ما يلي: لا يمكن أن يجتمع البنون والبنات للتمارين نفسها في المدارس التي تستقبل التلاميذ من الجنسين، وأن يكون الجنسان مفصولين بواسطة حاجز بارتفاع متر ونصف على الأقل، موضوع بشكل يظهر فيه المدرس من كلا الجانبين في القاعة، ويكون دخول التلاميذ وخروجهم في وقتين مختلفين بربع ساعة على الأقل.

وفي إنجلترا: منذ القرن التاسع عشر كان نصف المدارس الابتدائية مختلطًا ولأسباب اقتصادية وتأخر البناء اختلطت غالبية المدارس الأخرى، وبعد إصدار المرسوم التربوي سنة ١٩٠٢م ظهر كثير من المدارس الثانوية المختلطة، ومعظم المدارس الابتدائية اختلطت، أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد كانت السياسة التربوية تشجع على الاختلاط.

وفي إستكلندا: ظهر الاختلاط في المدارس منذ القرن السابع عشر، وشمل المدارس الابتدائية والثانوية.

وفي هولندا: قد سمح للتعليم المختلط سنة ١٨٧١م، ومع حلول عام ١٨٨٦م أصبح التعليم مختلطًا ما عدا بعض المقاطعات الرومانية الكاثوليكية.

وفي الاتحاد السوفيتي سابقًا: في روسيا القيصرية كان البنون والبنات يتعلمون تعليمًا منفصلًا، وبعد سنة ١٩٤٣م صدر قرار حكومي بتطبيق الاختلاط وتعميمه.

وفي أمريكا: في نحو عام ١٨٤٨م ظهرت الحركة النسوية الأمريكية المطالبة بحقوقها المسلوبة التي كان من أهمها تعليم الإناث، ولو كان في جو مختلط مع البنين.

وعلى الرغم من التشـــجيعات المتزايدة للتعليم المختلط في العالم إلا أنه لم يصل إلى الانتشـــار الكلي في مدارس التعليم العام، وهذه هي النســـب التي تبين هذا النظام في العالم (بالنسبة إلى المرحلة الثانوية):

- الاتحاد السوفيتي ١٠٠٪.
- أوروبا ٣٥٪.
- أمريكا الجنوبية ٣٣٪.
- أمريكا الشمالية ٢٨٪.
- آسيا ١٢٪.
- إفريقيا ٧٪[١].

وهذه الإحصاءات الســـابقة لها قرابة أربعة عقود من الزمن، فماذا عساه أن تكون عليه الإحصاءات الآن؟

لقـــد كان الدافع الرئيـــس للمطالبة بالاختلاط هو ذلك التمييـــز الظالم الذي يقع على الإناث في مدارســـهن من حيث المادة التي يؤذن لهن بدراســـتها ومن حيث تهيئة المـــدارس لهن، ناهيك عن المناطق التي لم تكن توجد بها مدارس بنات أصلًا ما اضطر بعض الأسر إلى إدخال بناتهم في مدارس مختلطة بفصول خاصة بهن في بادئ الأمر، ثم بعد ذلك تطور الأمر، فأصبحوا مختلطين حتى في الفصول. إذًا، فالاختلاط في التعليم عند الغرب كان لأســـباب وظروف معينة مرتبطة بنظرتهـــم إلى تعليم المرأة، بخلاف بداية الاختلاط في العالم العربي والإسلامي، فلم يكن هناك أي مسوغ مقبول لنشأته.

(١) **علاقة الاختلاط في التعليم والتوافق النفسي الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية**، قريش عبدالكريم، رســـالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، دون تاريخ.



obeikan.com

«يرى إدوارد بروز أن الأغلبية تعدّ الاختلاط وسيلة قد لجأت إليها الدولة بحثًا عن الاقتصاد، ويقول في موضع آخر: بكل بساطة إن دواعي الاختلاط في التعليم هي بالدرجة الأولى أسباب اقتصادية، وهذا ما يلمس عند جوزيف لايف حين يقول: إن الأصل في التطبيق ليس كون الاختلاط نظامًا تربويًّا، بل يدخل تحت اقتصاد الوسائل خصوصًا في مستوى المدرسة الابتدائية أكثر من المستوى الذي يليه»[1].

لقد كان الأهالي على ما تعلموا من دينهم في حرصهم على العرض والشرف، فلم يكونوا يرضون لبناتهم أن يتعلمن مختلطات بالبنين، لكن كان هناك اختلاط آخر ليس بين الطلاب والطالبات، ولكن بين المدرسين والمدرسات وجميع منسوبي المدرسة، فلم تكن هناك صعوبة في إيجاد مسوغات لهذا الفعل، فيتذرعون بقلة المعلمات في تخصص معين، فيدخلون المعلمين في مدارس البنات، فتجد المعلم يدرس طالبات المتوسط والثانوي مع أنهن بالغات في الأغلب، وكذلك تجد المعلمة تدرس طلاب المتوسط والثانوي مع أنهم كذلك بالغون، ثم بعد ذلك تطور الأمر حتى حصل الاختلاط بين الطلاب والطالبات، وذلك بسبب قوة النظام وقوة من فرضه. إذًا نخلص من ذلك إلى أن للاختلاط في مدارس التعليم العام أربع صور:

**الصورة الأولى**: اختلاط المعلمين بالمعلمات في مدارس الجنسين على السواء، وكذلك في الكادر الإداري، حيث تكون مكاتب المعلمين والمعلمات مختلطة، وما يتبع ذلك من الجلسات التي تتكرر بتكرر فراغ المعلم والمعلمة في أثناء حصص الفراغ، وكذلك في جميع أعمال المدرسة من اجتماعات وإشراف وغير ذلك، وسيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع إن شاء الله في الفصل الثاني في الاختلاط في العمل الوظيفي.

(١) مصدر سابق.

**الصورة الثانية**: اختلاط الطلاب والطالبات في الفصول التعليمية جنبًا إلى جنب، وتعدّ هذه الصورة من أشد صور الاختلاط تأثيرًا في سلوك الطلاب والطالبات وأخلاقهم، وهي أس المشكلة وأساسها؛ لأنهم جميعًا الطلاب والطالبات يعيشون فوران الغريزة وبداية تأججها، وذلك فيما يسمى مرحلة المراهقة، فتتعدد الصور، ومن ذلك:

١. التجاور والتقارب في المقاعد الدراسية، فلا توجد منطقة معينة في الفصول خاصة بالطالبات، سواء في جانب الفصل أو في آخره.

٢. التّماس بالأبدان والتراص عند خروج الطلاب والطالبات أو دخولهم، حيث إنه لم يخصص باب خاص بالطالبات، ولذا ندرك حكمة النبي ﷺ عندما خصص بابًا للنساء بقوله: «**لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ**»؛ أَيْ بَاب الْمَسْجِد الَّذِي أَشَارَ النَّبِيّ ﷺ[(١)].

وكذلك عندما كان يمكث بعد الصلاة حتى تقوم النساء، ويخرجن قبل الرجال، فقد روى البخاري في صحيحه عن أم سلمة قَالَتْ: كَانَ عليه السلام، إِذَا سَلَّمَ، قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، قَالَ: «**نَرَى -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِيَنْصَرِفَ النِّسَاءُ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ الرِّجَالِ**»[(٢)].

فيجدها بعض ضعاف النفوس من الطلاب والطالبات فرصة لبعض الممارسات غير الأخلاقية، وكذلك في ظل غياب الرقيب، وذلك عند تأخر المعلم في دخوله للفصل أو غيابه، فتقع بعض التحرشات، وهذه الصورة؛ أعني اختلاط الطلاب

(١) **عون المعبود**، باب اعتزال النساء في المسجد، (٢/ ٩٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، رجاله ثقات، إلا أن عبدالوارث -وهو ابن سعيد العنبري- قد خولف في رفعه، فقد رواه إسماعيل بن علية وبكير بن عبدالله بن الأشج عن نافع عن ابن عمر من قوله.

(٢) **صحيح البخاري**، (١/ ٢٩٦)، باب صلاة النساء خلف الرجال، نشر دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

والطالبات في التعليم العام ليســت في جميع دول العالم العربي، ففي مصر والســودان واليمــن وكذلك دول الخليج تقل هــذه الصورة أو تنعدم، لكنهــا موجودة بقوة في الدول المغاربية وليبيا، وكذلك سوريا ولبنان إلا أنه في الأخيرتين يكون في الثانوي.

**الصورة الثالثة**: اختلاط الطــلاب بالمعلمات، وذلك في مدارس البنين بحجة عدم وجود معلم في هذا التخصص أو ذاك، فتدخل المعلمة، وهي شابة على الأغلب، وهي في كامل زينتها على الطلاب وهم قد بلغوا أو كثير منهم، فيحصل من ذلك ألوان من البلاء لا يعلمها إلا الله، ولعلي أورد حادثة حصلت في المجتمع الغربي المفتوح على كل شيء، ومع ذلك وقعت هذه الحادثة، فقد طالعتنا وسائل الإعلام البريطانية بخبر شد الانتباه، وهو الحكم بالسجن المؤبد على شاب بريطاني عمره ١٥ عامًا، قام باغتصاب مدرسته التي تبلغ من العمر ٢٨ سنة، في الســاعة الرابعة عصرًا بعد انتهاء الدراسة، بعد أن اعتدى عليها وضربها، وعضها، وقطع ملابســها، وهددها بالقتل داخل أحد الفصول بمدرسة (ويستمنستر) في لندن.

لتترك تلك الحادثة ضحيتين: مُدرِّسة ممتنعة عن التدريس تُعالَج نفسيًّا، وتعيش في رحلة عذاب نفسي لا تنتهي، وشابًّا وراء القضبان يعيش في رحلة معاناة لا تنتهي[1].

**الصورة الرابعة**: اختلاط الطالبات بالمعلمين، وذلك في مدارس البنات، وهذه فتنة للمعلم الذكر، حيث يستدرجه الشيطان لاستغلال صلاحياته بكونه معلمًا في الوقوع في الفاحشة أو مقدماتها، ويشــتد الأمر حين يكون هذا المدرس شابًّا في ريعان شبابه عزبًا، فماذا عساه أن يفعل؟ ولعلي أورد لك هذه القصة لتعلم ما يعانيه أمثاله:

هذه قصة ذكرها الشيخ الأديب علي الطنطاوي، أسردها بطولها؛ لما فيها من العبر، فيقول: هذا شــاب مدرس في ثانوية البنات حديث السن لم يجاوز الرابعة والعشرين،

(١) **مجلة المجتمع**، عدد (١٦٦٦) ـ رجب سنة ١٤٢٦هـ ـ أغسطس ٢٠٠٥م.

معتــزل متفرّد عاكف على كتبه ودفاتره، لا يخالف النــاس، وليس ممن يبتغي الظهور فيهم والحظوة لديهم، فلا يحاول أحد من القراء أن يبحث عنه أو يســعى إلى معرفته، وليكتفوا من قصته التي قصها عليّ بمكان العبرة منها، إذا كان قد بقي في القارئين من يحرص على العبرة أو يسعى إلى الاعتبار...

وهذا الشــاب ابن صديق من أدنى أصدقائي إلى قلبــي، وكان في صباه تلميذًا لي، وكان من أذكى الطلاب قلبًا وأطهرهم نفسًــا، وأمتنهم خلقًا، وأتقاهم لله في سر وفي علن، وكان في صغره جادًّا بعيدًا عن المزاح، مجتنبًا للهزل، بارًّا بأمه وأبيه، لا يعرف إلا مدرســته وبيته، لم يُرَ قط واقفًا في طريق، أو ماشيًا إلى لهو، وثبت على ذلك حتى شب، وأكمل الدراسة، وفارق المدرســة، وهو لم يدخل قهوة ولا سينما، ولم يصاحب أحدًا أبدًا، ولم يجالس امرأة غير أمه، ولم يكلمها.

وكان لذلــك بمنزلة الأخ الأصغر مني، أحبه محبــة الابن، ويُجلّني إجلال الوالد، وكان ينفض إلي دخيلته، ويكشــف لي سريرته، وكان من مزاياه أنه صادق اللهجة، لم أجرب عليه في هذه المدة الطويلة كذبًا قط.

وانقطع عني مدة طويلة، ثم رأيته، فأخبرني أن والديه قد توفيا بالتيفوئيد في شــهر واحد، وأنه غدا وحيدًا، فاحترف التعليم، وبعثت به الوزارة لما تعلم من عظم أخلاقه إلى مدرســة ثانوية للبنات، فثار، وأبى وطلب نقلــه إلى غيرها من مدارس البنين، فما زالوا به يداورونه ويقنعونه بأنه إن كان معلم البنات رجل مثله، فذلك خير لهن من أن يدخل عليهن فاســق خبيث، وإن قبوله التدريس في هذه المدرسة قربة إلى الله، فخدع المسكين، وقبل!

قال: وبــتَّ ليلة افتتاح المدرســة بليلة نابغيَّــة لم ينطبق فيها جفنــاي، من الفكر والوســاوس والمخاوف، فلما أصبح الصباح ذهبت أقدم رجلًا، وأؤخر أخرى، حتى

دخلت المدرسة، فما راعني عند الباب إلا فتاتين كاملتي الأنوثة ليستا بالصغيرتين ولا القاصرتين قد دخلتا أمامي، فلما صارتا من داخل ألقتا عنهما الخمار، فعادتا كأنهما في دارهما، وتلفت حولي، فإذا ملء الساحة فتيات نواهد نواضج الأجساد، قد حسرن، ورحن يلعبن، ويمشين، شعورهن مهدلات على الأكتاف، فأحسست كأنما قد صبَّ عليَّ دلو من الماء الحامي، فاحترقت منه أعصابي، فاستدرت راجعًا، ونفضت يدي من الوظيفة، وقلت: الرزق على الله!

وقصدت بيتي، فما وسعني والله البيت، ووسوس إليَّ (لا أكتمك) الشيطان، وزيَّن لي تلك المتعة بمعاشرة أولئك الفتيات، والحياة بينهن، فاستعذت بالله، وأعرضت عنه، وذهبت أفتش عن عمل غير هذا، فسُدّت في وجهي الأبواب إلا هذا الباب، ولاحقتني الوزارة وإدارة المدرسة حتى عدت مكرهًا.

وأنا رجل رُضْت نفسي على العفاف، وأخذتها بضروب الرياضات حتى سكنت شرّتها، ولكنها مع ذلك كانت تثور بي كلما سبقت عيني وأنا غافل إلى فتاة في الشارع كاشفة، أو سمعت أذني حديثًا من أحاديث الشبان سقط إليّ، وأنا لا أطلبه، أو قرأت (وقلما أقرأ) قصة خليعة، أو نظرت (ونادرًا أن أنظر) مجلة من المجلات الداعرة الخبيثة، وما المرأة التي يفتش عنها الشبان، ويتحدثون عنها إلا هذه النَّصَف التي تصلح ما أبلى الدهر منها بالثياب والأصباغ وما عند العطار، والتي تقاذفتها الأيدي حتى صارت كالغصن الذاوي وكالثوب الخرق، فما بالك بشاب كتب عليه أن يعاشر النهار كله فتيات كزهرة الفلّ، أو كالغلالة الجديدة، لم تمسسهن يد بشر، ولم يعرفن من تجارب الحياة ما يتّقين به شباكها، ويطلب منه أن يكون عفيفًا شريفًا، وأن يكنّ هن أيضًا عفيفات شريفات، وله في نفوسهن مثل الذي لهن في نفسه؟

يا أستاذ، إن الخطر أشـد مما تتوهمون أنتم معشر الكتاب المعتزلين في بيوتهم أو في أبراجهم العاجيَّة -كما يقولون عن أنفسـهم- الخطر أشد بكثير... شباب وشابات، يُصبي كلًّا منهما أن يشـم ريح الآخر من مسيرة فرسخ، يجتمعون على دروس الأدب وقراءة أشـعار الغزل... تصور (يا أسـتاذ) المدرس يلقي على طالباته حديث ولادة وابن زيدون، وأنها كتبت كما رووا (كذبًا أو صدقًا) على حاشية ثوبها:

أمكِّنُ عاشـقي من صحنِ خدِّي وأمنـحُ قُبلتِـي مَـنْ يشـتهِيها

ويمضي يشرح لهـن ذلك، ويفسره لهن، حالـة فظيعة جدًّا يا أسـتاذ... ولو كنَّ كبيرات مسـنات، أو كنَّ مستورات محجبات، أو لو كنّ صائمات مصليات يخفن الله، لهان الأمر، ولكنهم يجتمعون بهن على سـفور وحسور وتكشف، وتنطلق البنت حرّة تزور معلمها في داره، وتمشي معه إن دعاها للسينما، أو المتنزّه، كذلك يرى الآباء اليوم بناتهم، فلا ينكرون ذلك عليهن!

أنا لا أقول: إن الآباء كلهم لا يهمهم أعراض بناتهم، وإن كل أب قَرْنان، معاذ الله أن أقـول ذلك، ولكنّ في الآباء قومًا مغفلين، أعمى أبصارهم بريق الحضارة الغربية، فحسـبوا كل شيء يجيء من الغرب هو خير وأعظم أجرًا، ولو كان ذهاب الأعراض والأديان والأبـدان! إن هؤلاء كالنعامة يلحقها الصيـاد، فتفر منه حتى إذا عجزت أغمضت عينيها، ودسّـت رأسها في التراب لظنها أنها لم تبصر الصياد، فإن الصياد لا يراها! إن هذا الأب يحسب أن كل رجل ينظر إلى ابنته بعينه هو، وطبيعي منه ألا ينظر هو إليها بعين الشـهوة، فلذلك يطلقها في الشارع، ويبعث بها إلى المدرسة على شكل يفتن العابد، ويحرّك الشيخ الفاني!

دخلت يا سـيدي، ودرّسـت، وكنت أغض بصري ما اسـتطعت، وأحافظ على وقاري، ولا أنظر في وجوه الطالبات إلا عابسًـا، وكنت مع ذلك أداري من أثرهن في

أعصابي، مثل شفرة السيف الحديد، وإذا قرع الجرس خرجت قبلهن مهرولًا حتى لا أماشيهن، ولا أدنو منهن، فذهبت مسرعًا إلى داري أصلي، وأسأل الله أن يصرف عني هـذه المحنة، وأن يجعل رزقي في غير هذا المكان، وكنت أصوم، وأقلل الطعام لأطفئ هذه النار، فإذا مشـيت إلى الفصل، وسمعت كلامهن، وسـبقت عيني إلى بعض ما يبدين من أعضائهن وزينتهن زادت ضرامًا واشتعالًا!

وكان فيهـن طالبة هي... لا، لسـت أصفها، ولا ينفعك وصفها، وحسـبك أن تعلم أنها ذكية ومتقدمة في رفيقاتها، وأنهـا من أسرة من أنبل الأسر، وأنها فوق ذلك جميلة جدًّا... جدًّا... إنها تمثال، وهل رأيت مرة تماثيل الجمال والفتنة...؟ وكانت كلما نظرتْ إليّ قرأت في عينيها كتابًا مفتوحًا، رسـالة صريحة لي أنا وحدي، وأحسسـت منها بمثل شرارات الكهرباء تخرق قلبي... فكنت أزداد عبوسًا وإعراضًا، فلا يردها عبوسي، ولا يثنيها إعراضي، وأسرعت مرة ورائي وأنا خارج وهي تناديني: «سـؤال يا أسـتاذ»... ولها في صوتها رنّة... يا لطيف...! فوقفت لها، فجعلتْ تدنو مني حتى شعرت كأني ألامس... ألامس ماذا؟ لا أجد والله شيئًا أشبهها به؛ لأنه ليس في الدنيا شيء آخر له مثـل هذا التأثير... فهربت منها، وأسرعت إلى الدار، وحرصت على ألا أدعها أو أدع غيرها تفعل مثل هذا!

وعقدت العزم عقدًا مبرمًا على ترك التدريس، وخرجت من الفصل بهذه العزيمة، وكان في الساحة تلميذات فرقة أخرى في درس الرياضة، وقد اصطففن بالشّلْحات، كاشفات الأفخاذ والأذرع، راسـخات النهود، يقفن كذلك بين الرجال (والمعلمون كلهم رجال)... فكبر رأسي، وأسرعت إلى الشـارع، وقد حلفت ألا أعود، ولو متّ جوعًا، وبعثت بكتاب الاستقالة!

ومرت أيام، وكنت وحدي في الدار -وأنا وحدي دائمًا ليس لي زوجة ولا قريب- فإذا بالباب يقرع، فقمت ففتحت، وإذا بها تدخل عليّ، وتغلق الباب وراءها، وترفع الغشاء عن وجهها، وتلقي المعطف عن منكبيها، تحدثني تطلب درسًا خصوصيًّا، وعيناها تحدثانني تطلبان أو لقد خيّلت لي أعصابي أنهما تطلبان غير الدرس...

ولست يا أستاذي، رجل سوء ولا أليف دعارة، ولكني رجل على كل حال... فلما رأيتها في داري... وتحت يدي... والباب مغلق... وهي تريد... ملكني الشيطان... ورأيت الدنيا تدور بي، ولما حاولت أن أتكلم اختنق صوتي، ثم خرج وفيه بحّة غريبة كأني أسمع معها صوت إنسان آخر غيري، وهممت يا أستاذ...

ولكن صوت الدين رنَّ في أذني، ينادي لآخر مرة، كما يصرخ الغريق آخر صرخاته... فاستجبت له... ولو أعرضت عنه لحظة لضاعت هذه الفرصة إلى الأبد، ولخسرت أنا والبنت الدنيا والآخرة من أجل لذة لحظة واحدة... ولم أتردد بل قلت لها بصوت بارد كالثلج، قاطع كالسيف، خشن كالمبرد: «يا آنسة، أنا آسف، إن هذه الزيارة لا تليق بطالبة شريفة، فاخرجي حالًا!»... وفتحت لها الباب، وأغلقته خلفها، وتم ذلك كله في دقيقة!

ولما خرجتْ ندمت... نعم، ندمت... وعاد الشيطان يوسوس لي، وضاق بي المنزل حتى كأني فيه محبوس في صندوق مقفل، ولم أعد أدري ماذا أصنع، وأحسست أني أضعت كنزًا وقع إليّ، وتغلّبت غريزتي، فأخفت صوت الدين والعقل، وأحسست توترًا في أعصابي، حتى وجدت الرغبة في أن أعضّ يدي بأسناني، أو أضرب رأسي بالجدار، وعدت أتمثل حركاتها ونظراتها... فأراها أجمل مما هي عليه، وأحس بها في نفسي، فكأني لا أزال أشم عطرها، وأرى جمالها، بل لقد مددت يدي لأمسك بها، فإذا أنا أقبض على الهواء، وخيّل لي الشيطان أن هذه البنت لم تعد تستطيع الصبر بعد

أن أذكى هذا النظام المدرسي نار غريزتها، وأنها ستمنح هذه الـ... هذه النعمة رجلًا غيري... فصرت كالمجنون حقًّا، وحاولت أن أقرأ، ففتحت كتابًا، فلم أبصر فيه شيئًا إلا صورتها، وأردت الخروج، فرأيتني أنفر من لقاء أيّ من أصحابي كان، ولا أريد إلا إياها، وحسدت إخوتي المدرسين الذين لم يتربوا مثل تربيتي الصالحة، فتمنعهم من الانطلاق في هذه اللذائذ انطلاق الذئب في لحم القطيع الطريّ!

والعفو يا أستاذ، إذا صدقت في تصوير ما وجدت، فأنت أستاذي أشكو إليك، وأنت الرجل الأديب قبل أن تكون الشيخ القاضي، فقل الآن: ماذا أصنع؟ إني تركت التدريس، واشتغلت بغيره، ولكني لم أستطع أن أنساها، ولو أني أردت وصالها لقدرت عليه ولكني لا أريد، فماذا أصنع يا أستاذ؟ لقد حاولت الزواج، فرأيت الأب الذي لا يكاد يمنع ابنته حرامًا لا يمنحها حلالًا إلا بمهر وتكاليف يستحيل دفعها على مثلي، فأيِسْتُ من الزواج، فماذا أصنع؟

ماذا يصنع يا أيها القراء؟ قولوا، فإني لم أجد والله ما أقول![1].

وتدخل في هذه الصورة كذلك الدروس الخصوصية التي يقدمها المعلم للطالبة في بيته أو بيتها، ويغلب على هذه الصورة الخلوة ومع الأسف، فقد انتشرت مثل هذه الصورة في مجتمعاتنا مع محاولة بعضهم إيجاد محرم معها كأخيها، أو يشترطون على المعلم أن تكون معه زوجته، وذلك خروجًا من المحذور الشرعي، ولكن مثل هذه الاحترازات لا تكون بشكل جدي، بل تظهر في أول الأمر، ثم سرعان ما تختفي مع مرور الوقت بحجج واهية، ولا زالت هذه الصور من الاختلاط قائمة إلى الآن في أغلب مدارس التعليم العام في العالم العربي والإسلامي باستثناء المملكة العربية

(١) **ذكريات علي الطنطاوي**، نشر دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

السعودية، فمن نعم اللـــه عليها أنها تفصل الجنسين في التعليم والعمل، وهذه نعمة كبيرة وصفة أساسية من صفات المجتمع المسلم.

كانت هذه الصور الأربع من الاختلاط تفعل فعلها في نفوس الطلاب والطالبات وفي تطبيعهـــم على الاختـــلاط، ولأن المعلـــم أو المعلمة هما القـــدوة لدى الطلاب والطالبات، فإذا انتهى الطالب أو الطالبة من التعليم العام، ودلفا إلى أبواب الجامعة، فإنهـــما لا يريان أي غضاضـــة في الاختلاط في الجامعة، فقد تطبعت عليه نفوســـهم، بل يرونه هو الأصل وغيره اســـتثناء، وقد أشـــار إلى هذا المعنى (أعني تطبيع المنكر) الصحـــابي الجليل عبدالله بن مســـعود ﷺ، فقد روى الدارمي في كتابه **الســـنن** عَنْ عَلْقَمَـــةَ عَنْ عَبْدِاللهِ قَـــالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَـــتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِـــيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، إِذَا تُرِكَ مِنْهَا شَـــيْءٌ قِيلَ: تُرِكَتِ السُّـــنَّةُ؟ قَالُوا: وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: إِذَا ذَهَبَتْ عُلَمَاؤُكُمْ، وَكَثُـــرَتْ جُهَلاَؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ[1].

يعني أنهم قد ألفوا هذه الفتنة المغايرة للسنة، وشبوا عليها، وشابوا، فإذا أتى من يريد إن يردهم إلى السنة والصواب (الذي هو الأصل) قالوا: غيّرت السنة؛ لأنهم قد ظنوا أنهم قد نُشّئوا على السنة، وهم في الحقيقة قد نُشّئوا على فتنة نسأل الله السلامة والعافية.

إن الإختـــلاط في التعليم هو نمط غربي نشـــأ، وترعرع في بيئة تختلف عنا في الدين والمبـــادئ والعادات والتقاليد، فلو افترضنا أنه قد نجـــح هذا النمط عندهم ـ مع أن الدراسات الحديثة بشأن الاختلاط أثبتت عكس ذلك ـ فهو لا يتناسب وديننا ومبادئنا،

(١) **ســـنن الدارمي**، (١/ ٢٧٨) بإســـناد ضعيف لكن له طريق آخر بســـند صحيح، وهو عن الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود، الناشر دار المغني، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، وأخرجه الحاكم في مستدركه، وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بأنه على شرط البخاري ومســـلم، وهو موقوف على ابن مسعود، وله حكم الرفع؛ لأنه من أمور الغيب وكيف وقد وقع.

وقد اتفــق أعظم علماء التربية في العهد الحاضر على أن عملية التربية ليســت بضاعة تصدر إلى الخارج، أو تســتورد إلى الداخل كالمصنوعــات أو المواد الخام أو الحاجات والمخترعات التي تختص ببلد دون بلد إنما هي لباس يفصل على قامة هذه الشــعوب وملامحهــا القومية وتقاليدها الموروثة وآدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش لها وتموت في سبيلها، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها على الإقناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز وتسجيلها بالدلائل العلمية إذا احتيج إليها لتخليد هذه العقيدة، ونقلها ســليمة إلى الأجيال القادمة، وأن أفضل تفسير لنظام التربية أنها السعي الحثيث المتواصل يقوم به الآباء والمربون لإنشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة[1].

يقــول الدكتور الأمريكــي كونانت: «إن عملية التربية ليســت تعاطيًا ولا عملية بيع وشراء، وليســت بضاعة تصدر للخارج أو تســتورد من الداخل، إننا في حقب من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باســتيراد نظرية التعليم الإنجليزية أو الأوروبية إلى بلادنا الأمريكية» ويقول أبوالحسن الندوي معلقًا على هذه المقالة: «هذا مع أن أمريكا وأوروبا تجمع بين كثير من شعوبهم سلالة واحدة، فكيف ببلدين لا يلتقيان على دين واحــد، ولا على عنصر واحد، ولا على لغة واحدة، ولا عــلى ثقافة واحدة، ولا على أهداف واحدة؟»[2].

(١) **نحو التربية الإســلامية الحرة للندوي**، (ص١٣٨)، ط ٥، مؤسســة الرســالة عن كتــاب الاختلاط في التعليم للأزرق، ط١، مركز باحثات، (ص٤٤).

(٢) **الاختلاط في التعليم للأزرق**، (ص١٦)، بتصرف، نشر باحثات لدراسات المرأة.

## المطلب الثاني

## التجارب في التعليم غير المختلط ونتائجها

**أولًا**: ففي جورجيا وفي إحدى مقاطعاتها بثت قناة (ABC) التي تُعدّ إحدى أشهر القنوات الإخبارية في أمريكا خبرًا في نشرة الأخبار المسائية الأساسية -نهاية يوم ١٨/ ٢/ ٢٠٠٨م بالتوقيت الأمريكي- يقول: إن إحدى مقاطعات جورجيا، فصلت التعليم المختلط في كل المراحل من... الابتدائي إلى الثانوي، والقرار خرج من مجلس المقاطعة التعليمي بناء على دراسات عندهم، ولم يستأذنوا من أحد؛ لاكتشافهم أن الدراسات تقول: إن وضع البنات مع بعضهن دون الذكور يساعدهن على الإبداع، وإذا وضع الطلاب مع بعضهم مفصولين عن البنات يركزون أكثر في العملية التعليمية.

وأجرت القناة مقابلة مع رئيسة مجلس التعليم في المقاطعة، وقالت: إن هدفنا الأساسي هو رفع مستوى النتائج والتعليم عندنا، ونعتقد أن هذا سيخفف نسبة الحمل عند المراهقات.

وفي سؤال القناة للأولاد الذكور قالوا: «عندما نكون وحدنا من دون اختلاط نعبر عن آرائنا بحرية أكبر وراحة دون هاجس مراعاة إبهار البنات والاستعراض أمامهن».

**ثانيًا**: قام الدكتور ليونارد ساكس المدير التنفيذي للجمعية الوطنية للتعليم غير المختلط بالإشراف على ورشة عمل في مايو ٢٠٠٧م في جامعة ستيتسوني ولاية فلوريدا الأمريكية، وكانت الورشة تهدف إلى مناقشة المشروع التجريبي الذي أجراه باحثون من هذه الجامعة، واستغرق إكماله ثلاث سنوات لمقارنة مستوى الطلاب وسلوكياتهم في الفصول الدراسية غير المختلطة، وقد طُبّق المشروع في مدرسة وودورد الابتدائية.

لقد كانت النتائج التي توصل إليها الباحثون مثيرة للدهشة، وهي على النحو الآتي:

- المعدل الدراسي للبنين في الفصول المختلطة ٣٧٪ ولما تم الفصل بين الجنسين قفزت النسبة إلى ٨٦٪.
- المعدل الدراسي للبنات في الفصول المختلطة ٥٩٪ ولما تم الفصل بين الجنسين قفزت النسبة إلى ٧٥٪[١].
- تقرير المرصد الفرنسي للأحوال الاقتصادية: Rapport de l'Observatoire français des conjonctures économiques.

وقد لاحظت المختصة الاجتماعية ماري دورو بيلات (Marie Duru_Bellat) في دراستها لنتائج بعض التجارب في جميع العالم، أن الأساتذة يكرسون أقل وقت للفتيات (٤٤٪) بينما يكرسون أكثر وقتهم للفتيان (٥٦٪) فالذكور يقاطعون كلام الفتيات، ويصادرونه في الصفوف المختلطة.

أشارت المختصة الاجتماعية أيضًا إلى لجوء كثير من الدول إلى افتتاح الصفوف غير المختلطة.

أعلن ستيفان كاربنتيي Stéphane Carpentier (المذيع في إذاعة RTL.Fr الفرنسية) في تحقيق له في المدرسة المتوسطة ستانسلاسStanislas في باريس تخصيص ستة صفوف للأول المتوسط للفتيان وصفين للفتيات وصفين آخرين ظلا مختلطين[٢].

وبحسب المنظمة الأمريكية المناضلة للفصل بين الجنسين في المدارس NASSPE، فإن عدد المدارس العامة التي تحولت من مختلطة إلى غير مختلطة وصل عام ٢٠٠٢م

(١) **المرأة في السعودية رؤى عالمية**، (ص٥٥)، نشر مؤسسة الوقف الإسلامي، دون طبعة ولا تاريخ.

(2) http://www.rtl.fr/actualites/article/faut_il_de_nouveau_separer_les_garcons_et_les_filles_dans_les_classes_5951186746

من ١١ إلى ٤٤٠ مدرسة، وذكرت هذه المنظمة أن الفتيات يحصلن على أفضل نتائج من الفتيان عندما يدرسن منفصلات عن الذكور.

وذكر العالم الاجتماعي الفرنسي ميشيل فيز Michel Fiz في كتابه **أفخاخ التعليم المختلط Les pièges de la mixité scolaire** أنه تم فرض التعليم المختلط في فرنسا عام ١٩٧٥م بسبب عدم توافر الأماكن في المدارس، وليس لأسباب تربوية حقيقية، واختتم قوله كزميلته ماري دورو بيلات Marie Duru_Bellat بأن التعليم المختلط لا يعزز، لا تكافؤ في الفرص ولا مساواة في النتائج بين الفتيات والفتيان[1].

## مزايا التعليم غير المختلط

في تصنيف أفضل المدارس على مستوى المملكة المتحدة (بريطانيا) نجد أن المدارس غير المختلطة تأتي في أول القائمة، لكن نذكر هنا أربعة تصنيفات: تصنيف ساندي تايمز Sundy Times، وتصنيف ساندي تايمز بيرنت باوار Sunday Times Parent Power، وتصنيف فيننشيال تايمز Financial Times، وتصنيف جي سي إس إس GCSS؛ لأن هذه التصنيفات هي أكثرها اعتبارًا وأكملها في بريطانيا.

وعام ٢٠٠٩م، المدرسة التي احتلت المركز الأول في تصنيف ساندي تايمز هي مدرسة غير مختلطة في لندن، وتجمع هذه المدرسة فتيات من جميع أوساط المجتمع والديانة، من ضمن أفضل ٢٥ مؤسسة تعليمية اختارتها ساندي تايمز، كانت ٢١ منها مؤسسة تعليمية غير مختلطة.

ومنحت ساندي تايمز بيرنت باوار جائزتها لعام ٢٠٠٩م لمدرسة البنات في مانشستر Manchester، ويعتمد تصنيفها على النتائج الدراسية، وكذلك على الجو

(1) www.suite101.fr/content/la_mixite_a_lecole_remise_en_question_a18032

العام في المدرسة والأنشطة اللاصفية. ومع ذلك، لا تتعلق الجائزة إلا بالمدارس الأهلية، هنا أيضًا، من ضمن أفضل ٢٥ مؤسسة تعليمية أهلية، كانت ٢٢ منها مدرسة غير مختلطة، والثانية مدرسة فتيان، وهذا دليل على أنهم قادرون على أن يتساووا مع الفتيات.

أما ما يتعلق بتصنيف فيننشيال تايمز، فمن ضمن أفضل ٢٥ مدرسة كانت ٩ منها مدارس الفتيات، وواحدة فقط مدرسة مختلطة.

أخيرًا، نذكر تصنيف جي سي إس إس الذي يهتم بالمدارس الحكومية والمدارس الأهلية على حد سواء، ولا تهتم كذلك إلا بالنتائج الدراسية، ومن ضمن أول ٢٥ مؤسسة تعليمية، أحصت GCSS 12 مدرسة للفتيات، و٩ مدارس للفتيان، و٤ مدارس مختلطة.

الأمر الآن واضح، فنتائج المدارس غير المختلطة في بريطانيا أعلى من نتائج المدارس المختلطة بصورة كبيرة، وبعبارة أخرى، إن فشل التعليم المختلط يبدو شاملًا.

تساعد الأرقام والأمثلة المذكورة في هذه المقالة على بيان لماذا يكون عدم الاختلاط في التعليم خيارًا تربويًّا، وهو خيار لا يقوم على التوق إلى الماضي، ولا على تصور مغبر للتعليم، ولكن بالعكس، على حقائق لا يمكن إنكارها.

وإن أولى هذه الحقائق هي الفرق الموجود بين الذكر والأنثى، والثانية هي الفشل الواضح للتعليم المفروض حاليًّا. يقوم التعليم المنفصل إذًا على تقصي الحقائق، وكذلك على الفطرة السليمة.

كتبه جان باتست نووي في ٤ -يناير- ٢٠١١م أستاذ التاريخ ومدير مجلة **كنتات** Cantate[1].

وكذلك يضاف ما قامت به مؤسسة سيجنال سكس إديوكيشن التي سعت مع غيرها من مؤسسات المجتمع المدني في الولايات المتحدة الأمريكية إلى توعية المجتمع الأمريكي بخطر الاختلاط حتى نجحت، وبعد سجال دام عشر سنوات في إقناع الحكومة بذلك، فكان أن صدر قانون عام ٢٠٠٦م يسمح بفتح مدارس حكومية غير مختلطة.

تناضل الجمعية الأوروبية للتعليم غير المختلط (EASSE) من أجل إبراز مزايا التعليم المنفصل والتأكيد على أنه النظام الأفضل للفتيات والفتيان، وذلك من خلال جمع أدلة مستمدة من دراسات وتجارب حول العالم، وفيما يلي بعض هذه الدراسات والتجارب وشهادات شخصيات معتبرة، وموقع الجمعية هو: www.easse.org.

يقول الكاتب الأمريكى (روبرت تايلور) فى مقالته المنشورة فى الثالث والعشرين من إبريل عام ٢٠٠٩ وعنوانها (البنات يتحصلن على درجات أعلى فى التعليم غير المختلط، ويحققن إنجازًا أكاديميًّا أفضل): «إن هناك اهتمامًا ناميًا يزداد أكثر فأكثر بقضية فصل الذكور عن الإناث فى التعليم بوصفه إستراتيجية لتحسين مستوى أداء الجنسين».

أجرى مركز بحوث التعليم العالى بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة ومركز بحوث الصحة والتنمية التابع لجامعة (أوتاجو) بنيوزيلندا دراستين منفصلتين على

(1) http//www.revue_cantate.fr/La_mixite_scolaire_est_elle_juste

- Sunday Times: صحيفة بريطانية أسبوعية مرموقة.
- Sunday Times Parent Power: هي منظمة بريطانية للتقدم العلمي.
- Financial Times: هي صحيفة تجارية دولية تصدر في بريطانيا.
- General Certificate of Secondary School: هي شهادة عامة لغرض خاص تمنح في بريطانيا.

طــلاب وطالبات المدارس الثانويــة العليا المختلطة وغــير المختلطة. ركزت الأولى على تأثير الدراســة غير المختلطة في الإنجاز التعليمى للجنســين، وركزت الدراسة الثانية على دور الاختلاف فى النوع بين الجنســين على هذا الإنجاز. قارنت الدراســة الأولى اســتجابات ٦٥٥٢ خريجة من مجموع ٢٢٥ مدرســة عليا خاصة غير مختلطة باستجابات ١٤٦٨٤ خريجة من مجموع ١١٦٩ مدرسة عليا خاصة مختلطة، ونشرت فى تقرير يضم مئة صفحة فى التاســع عشر من مارس من عام ٢٠٠٩م. أما الدراســة الثانية فقد أجريت عــلى ٩٠٠ طالب وطالبة ينتمون إلى مــدارس عليا مختلطة وغير مختلطة، ونشرت هذه الدراسة فى الدورية الأسترالية للتربية.

كانت أهم نتائج هاتين الدراستين على النحو الآتي:

١. أن طالبات المــدارس غير المختلطة حققن انتظامًا أكاديميًّا وتوجهات ونتائج أكاديمية ومســتويات من الثقة بالنفس، والميل إلى ممارســة ســياق مهني في المستقبل أفضل من نظرائهن في المدارس المختلطة.

٢. أن العادات الدراســية التي تمارســها طالبات المــدارس العليا غير المختلطة أفضل حالًا من تلك التي تمارسها طالبات المدارس المختلطة، فثلثا الطالبات في المدارس الأولى يقضين إحدى عشرة ســاعة أو أكثر كل أسبوع في الدراسة أو أداء ما عليهن من واجبات دراســية مقارنة بأقل من نصف هذه النسبة بين طالبات المدارس المختلطة.

٣. تقول (ليندا ســاكس) الأســتاذ المشــارك في التربية ورئيس طاقم البحث في دراســة جامعة كاليفورنيا: إن الأخلاقيات الملازمــة للعمل في المدارس غير المختلطة من شــأنها أن تســاعد الطلبة والطالبات على التعامل مع المتطلبات الكثيرة التي تستلزمها مرحلة ما بعد الدراسة في المدارس الثانوية العليا أي في مرحلة الدراسة الجامعية.

٤. أهم نتائج دراسة جامعة كاليفورنيا اللافتة للنظر هي أن طالبات المدارس غير المختلطة أبدين اهتمامًا كبيرًا يزيد بنسبة ٣ إلى واحد بدراسة الهندسة، وأظهرن مستويات عالية ومهارات في الرياضيات ودراسات الكمبيوتر إضافة إلى إحساسهن بذواتهن الخاصة عند الحديث أمام العامة.

٥. يؤكد (ليونارد ساكس) في كتابه الصادر عام ٢٠٠٩م بعنوان: **أولاد يسيرون على غير هدى** أن التركيبة الاجتماعية لنموذج الاختلاف النوعي بين الذكور والإناث تنهار في فصول الدراسة غير المختلطة، فالنكات والهرج بين النوع الواحد سيكون واحدًا ومتشابهًا، ويقصد (ساكس) بذلك أن شعور الطلبة والطالبات بالاختلاف النوعي بينهما ذكورًا وإناثًا يضمحل كثيرًا في التعليم غير المختلط، فيتفرغ الجميع للاهتمام بالدراسة، ولا يشعر كل جنس منهما بتركيز.

هذه النقطة الخامسة كانت محور اهتمام دراسة جامعة (أوتاجو) بنيوزيلندا التي ركزت على علاقة الاختلاف بين الجنسين في النوع بالإنجاز التعليمي. أشرفت على هذه الدراسة الباحثة (شيرى جب). انتهت الدراسة إلى نتيجة مؤداها: «أن التعليم غير المختلط يعمل على الحد من تأثير اختلاف النوع بين الجنسين على الإنجاز التعليمى لكل من الذكور والإناث. فالاختلاط في التعليم بين الجنسين ـ مع آثاره الأخلاقية السلبية ـ يدفع كلًّا منهما إلى محاولة التفوق على الآخر تأكيدًا لأفضلية جنسه، لكن هذه الدراسة أثبتت أن التعليم غير المختلط يفرغ هذه المحاولة من مضمونها، ويدفع كلا الجنسين إلى التفرغ للإنجاز الأكاديمي. ولهذا وجدت الدراسة أن اتجاه طلاب المدارس العليا غير المختلطة للتفوق على الطالبات كان محدودًا، وعلى النقيض من ذلك كان اتجاه الفتيات نحو التفوق على الذكور في المدارس المختلطة مرتفعًا، وكشفت الدراسة التتبعية لهؤلاء الطلبة والطالبات أن هذا النمط من التفكير يستمر معهم حتى سن الخامسة والعشرين، وتنتهي (شيرى جب) إلى القول: إن التعليم غير المختلط لا

يخفف فقط من حدة تأثير الاختلاف في النوع على الإنجاز الأكاديمي للجنسين، بل إنه يستمر معهم حتى عند الالتحاق بالجامعة والحصول على الدرجة الجامعية[1].

الخلاصة التي يمكن التوصل إليها من هاتين الدراستين هي أن التعليم غير المختلط يدفع الطلاب والطالبات إلى التركيز على الهدف الرئيس الذي التحقوا من أجله بالمؤسسات التعليمية، وهو الحصول على الدرجة الجامعية، فلا يكون الهدف هو الاهتمام بالجنس الآخر وإثبات تفوق بني جنسه على الجنس الآخر، وتبين الدراستان كذلك أن الإنجاز الأكاديمي في المدارس غير المختلطة أعلى من نظيره في المدارس المختلطة، إلى درجة أن اهتمام الطالبات بالدراسات غير النظرية مثل الهندسة والرياضيات والكمبيوتر بدا واضحًا. هذا إضافة إلى أن التعليم غير المختلط يحفظ للفتيات خصوصيتهن حتى عند المزاح والهرج، والأهم من ذلك كله هو أن الجانب الأخلاقي المرتبط بالدراسة غير المختلطة في مرحلة الدراسة الثانوية العليا يظل يمارس تأثيره الإيجابي في الجنسين ليس عند الالتحاق بالجامعة فقط أو عند الحصول على الدرجة الجامعية، بل يمتد حتى سن الخامسة والعشرين[2].

## المطلب الثالث

## التعليم المنفصل حول العالم

يوجد تقريبًا هذا النوع من المدارس في جميع الدول الأوروبية، ففي كثير من هذه الدول، تقدم هذا التعليم المنفصل بحسب الجنس سواء في المدارس العامة أو الخاصة.

(1) Rupert Taylor: Girls Get Better Grades in Single_Sex Classes...Graduates of All_Girls Schools Have Stronger Academic Performance, April 23, 2009.

(2) University of Otago, Single_sex schooling reduces gender gap in educational achievement, August 20, 2009

لأحمد بن إبراهيم خضر الأستاذ المشارك بجامعات القاهرة، والأزهر، وأم درمان الإسلامية، والملك عبدالعزيز سابقًا.

توجد في المملكة المتحدة ١٩٠٢ مدرسة منفصلة بين الفتيات والفتيان: ٤١٦ منها مدرسة حكومية، وتستقبل الأموال العامة بغض النظر عمن يتولى إدارتها، و٦٧٦ منها مدارس مستقلة، وتُعدُّ مدرسة (الشهادة العليا للمرحلة الثانوية) General Certificate of Secondary School حجة من الحجج في مصلحة الإبقاء على هذا الخيار التربوي. في الواقع يساعد الإعلان عن نتائج الشهادة بإجراء مقارنة مهمة. وفقًا لهذه المعطيات، فإن ٨١ مدرسة منفصلة بين الفتيات والفتيان من ضمن أفضل ١٠٠ مدرسة لهذه السنة. (معلومات مستمدة من دراسة أجرتها المنظمة الأوروبية للتعليم المنفصل على ٧٠ دولة في العالم. إجماليًّا، فإن ٢١٠٢٨١ مدرسة تضم ٤٠٠٥٠٠٠٠ طالب وطالبة هي مدارس منفصلة). توجد مدرسة مختلطة واحدة فقط ضمن أفضل عشر مدارس، والمدارس الحكومية الثلاث عشرة الموجودة ضمن أفضل ٥٠ مدرسة في الدولة، فإن عشرًا منها مدرسة غير مختلطة، وتكون هذه النتيجة أكثر وضوحًا إذا نظرنا في أفضل مئة مدرسة في الدولة: ضمن ٢٩ مدرسة حكومية، فإن ٢٥ منها مدارس منفصلة.

وعام ٢٠٠٢م، أشارت المؤسسة الوطنية للبحث التربوي في دراسة شملت ٣٠٠ مدرسة ثانوية إنجليزية، أي ٣٧٠٠٠٠ طالب وطالبة إلى أن الأداء الأكاديمي للفتيات والفتيان كان أفضل في المدارس الحكومية المنفصلة من المدارس المختلطة[1].

ليس من المصادفة إذًا أن توصي الهيئة الاستشارية للمملكة المتحدة بالفصل بحسب الجنس في المدارس لتفادي اختلاف كبير جدًّا في التعليم بين الفتيات والفتيان.

تُعدّ في فرنسا ٢٣٨ مدرسة غير مختلطة، وفي دول أخرى للمنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي (OCDE) مثل ألمانيا، يتم إدراج التعليم المنفصل في النظام العام، ومن ثم تمكنوا من تقديم مزيد من الخيارات التعليمية للآباء خلال بعض الأوقات

(1) http://www.nfer.ac.uk/research/

في أثناء الدراسة، وهكذا في ولاية بافيير Bavière في ألمانيا، تقدم ٢٥٪ من مدارسها العامة تعليمًا خاصًّا بالفتيات أو بالفتيان في بعض المواد.

ففي برلين Berlin، شجعت السلطات تنظيم دروس خاصة للفتيات أو الفتيان، واتبعت ذلك ١٨٠ مدرسة عامة، وعام ١٩٩٩م، أوصى مجلس الشيوخ بناء على مبادرة الاشتراكيين بالفصل بين الجنسين بهدف تشجيع الفتيات من خلال التمييز الإيجابي.

وأما في الدول الأعضاء في المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي غير الأوروبية، فإنها تميل كذلك نحو اعتبار التعليم المنفصل اقتراحًا صالحًا وإيجابيًّا.

وفي كندا، توجد ١٤٠ مدرسة غير مختلطة، وكما هو الحال في الدول الأخرى، فإن الكفاءة التربوية هي التي تبرهن الاحتفاظ بهذا النوع من التربية، ووفقًا لتقرير عام ٢٠٠٣م لمعهد فريزر Frazer عن المدارس الثانوية في أونتاريو Ontario، فإن من ضمن ست عشرة مدرسة تقدم أفضل النتائج الأكاديمية، توجد عشر مدارس غير مختلطة[١].

توجد بأستراليا ١٤٧٩ مدرسة غير مختلطة، منها ١٣٩ مدرسة حكومية. هنا أيضًا، فإن الاعتبار الجيد الذي يتمتع به التعليم المنفصل واضح جدًّا إذا ما رجعنا على سبيل المثال إلى الدراسات المقدمة من قبل المجلس الأسترالي للبحث التربوي (Australiancouncil for Educational Research) عام ٢٠٠١م.

نظمت هذه المنظمة المستقلة متابعة لتقدم ٢٧٠٠٠٠ طالب وطالبة خلال ست سنوات، واختتم التقرير أن الطلاب الذين تلقوا الدروس في الصفوف المتجانسة

(١) (دورية غلوب وميل Global and Mai، ١٩إبريل ٢٠٠٣م). نقلاً عن الاختلاط للأزرق.

حصلــوا على نتائج دراســية أفضل بنســبة ١٥٪ إلى ٢٢٪ من أولئــك الذين تلقوا الدروس في الصفــوف المختلطة. في ولاية نيوو ســاف وول New South Wales، وهي أكثر الولايات الأســترالية سكانًا، تشارك ٧٥ مدرسة عامة في مبادرة تقوم على التعليم المنفصل في الصفوف أو المدارس. من جانب آخر، فإن بإمكان الآباء في النظام العام الاختيار بين تعليم مختلط وتعليم غير مختلط.

إن المدارس المنفصلة في نيوزيلنــدا New Zeland أكثر في القطاع العام (٩٨) من القطاع الخاص (٢٣)، والحال هي نفسها في جنوب إفريقيا (٣٥٠ مدرسة عامة مقابل ٢٢ خاصــة)، وفي كوريا الجنوبية، من ضمن ١٤٨٣ مدرســة منفصلة، توجد ٧٠٣ مدارس عامة.

هناك ١٨٩٠ مدرسة منفصلة في الولايات المتحدة الأمريكية. حاليًّا، وبعد ثلاثين عامًا من غياب تام للتعليم المنفصل، يشهد هذا النوع من التعليم تزايدًا كبيرًا خصوصًا في القطاع العام، وذلك بفضل النتائــج المحصلة. وهكذا، عام ٢٠٠٢م، تبنت ٤٠٠ مدرسة عامة بصورة جزئية أو في جميع صفوفها هذا الخيار التربوي.

## المطلب الرابع

## آثار صور الاختلاط في التعليم العام

وأعرض ها هنا لأحد المعايير العلمية، فلننظر إلى ما تقوله الدراسات العلمية، وما تقرره من فروق جنسية مؤثرة في العملية التعليمية، ولعلي أقتصر في المبحث على أحد الفروق وبيان أثرها:

وحديثي ها هنا حول حقيقة علمية وحيـدة وآثارها في العملية التعليمية، وذلك وفقًا لما يقوله المختصون من الغربيين.

يقول الدكتور ليونارد ساكس:

في منتصف التسـعينيات بدأت ألاحظ مجموعات من طلاب السنة الثانية والثالثة الابتدائية يتقاطرون نحو العيادة، ومع كل طفل أحد أبويه حاملًا ورقة من المدرسـة تطالـب بفحص الطفل والتأكد مـن إصابته بمرض اضطـراب العجز عن التركيز (Attention Deficit Disorder ADD) يقول سـاكس: في بعض الحالات لم يكن الأطفـال في حاجة إلى ترياق اضطراب العجز عن التركيز، بقدر حاجتهم لمعلم يفهم الفروق العضوية بين الأولاد والبنات التي تؤثر في تعليمهم، وبعد أن تقصيت الأمر وجدت أنه لا أحد في المدرسة يعرف أن قدرة الجنسين على السماع متفاوتة.

ويقول أيضًا: تخيل أنك في الصف الثاني الابتدائي، ثم تخيل أن جسـتن (Justin) ذا السـنوات الست جالس في آخر الصف، والمعلمة امرأة تتكلم بنبرة مناسبة بالنسبة إليها، جسـتن لا يكاد يسـمعها، فيبدأ في النظر من النافذة، أو يراقب ذبابة تسـير في سقف الفصل، تلاحظ المعلمة أن جستن غير منتبه... تتكرر القصة، فتظن المعلمة أنه ربما يكون مصابًا باضطراب العجز عن التركيز! المعلمة مصيبة تمامًا في وصمه بالعجز عن التركيز، لكن ليس السـبب هو هذا المرض، لكنه صـوت المعلمة الهادئ الناعم الذي يناسـبها، ويفلح في شد بنات جنسـها، بينما ينام أغلب الأولاد الذين يجلسون في الخلف.

قال سـاكس: في إحدى المـرات بعدما فحصت أحـد الأولاد، وكتبت توصيتي قالت لي الأم: إن المدرسـة نصحتهم باستشارة طبيب آخر، (ليس لأننا لا نثق فيك يا دكتور، لكن فقط لأن المدرسـة تطلب استشارة من خبير)، عندها فهمت أن الأطباء

الذين تصنفهم تلك المدرسة في عداد الخبراء، هم فقط من يكتبون الوصفات الطبية دائمًا! دفعني الفضول لأعرف ما إذا كانت تجربتي هذه متكررة أم لا، فأخذت تمويلًا من الأكاديمية الأمريكية لأطباء الأسرة، لإجراء مسح يشمل كل عيادات منطقة واشنطن. كنا نسأل سؤالًا بسيطًا: من أول من يشخص اضطراب العجز عن التركيز؟

الإجابة: أغلب حالات الاشتباه بالإصابة بالمرض ينبه إليها المعلم، ليس الوالدان، ولا الجيران، ولا الطبيب!

لقد أثبت المختصون وجود اختلاف بين الأبناء والبنات في استجابة الدماغ السمعية، المتفرعة عنها القدرة على السمع، فبنت عمرها سبع سنوات، تميز أصواتًا أخفت من الأصوات الضعيفة التي ينتهي إليها تمييز ولد في عمرها نفسه، وباستخدام أجهزة اختبارات صوتية عالية النوعية، وجدوا أن إحساس البنات بالأصوات، أفضل من استشعار البنين لها بضعفين، وربما ارتفعت نسبة إدراك المسموعات لدى بعضهن عن بعض البنين إلى أربعة أضعاف، وذلك في نطاق الترددات المهمة لتمييز الكلام ـنحو أربعة آلاف تردد في الثانية (4KHz)ـ وقد أدرك المختصون هذه النتيجة قبل قرابة نصف قرن، ثم أكدتها دراسات حديثة، ووجدت بعض الدراسات الحديثة أن قدرة بعض البنات على السمع في سن الثانية عشرة تفوق قدرة البنين في نفس تلك السن بنسبة قد تصل إلى سبعة أضعاف.

بل أشارت الاختصاصية النفسية كولن أليوت (Colin Elliot)، إلى أن البنت في الحادية عشرة من عمرها يشتت ذهنها صوت أخفض بعشرة أضعاف مرة من الصوت الذي يشتت ذهن البنين، فإذا نقر طالب الدرج بأطراف أصابعه فلن ينزعج أو يُزعَج زملاؤه، لكن ستنزعج المعلمة، وسوف تنزعج الطالبات.

ويبين أثر التمايز السمعي لدى الجنسين في العملية التعليمية الدكتور ليونارد ساكس، فيقول: الاختلافات الأساسية في القدرة السمعية بين البنين والبنات، تدخل ضمن أهم ممارسات التدريس، فإذا كانت بالقاعة المختلطة أستاذة، فإنها سوف تتكلم بصوت يبدو عاديًّا بالنسبة إليها، ولن تلحظ أن صوتها لا يشد انتباه البنين هناك في آخر القاعة كثيرًا، وفي المقابل إذا كان في القاعة أستاذ فسوف يتكلم بنبرة يراها مناسبة، بينما قد تراها الطالبات في الصف الأمامي أقرب إلى الصراخ فيهن!

ثم اقترح حلًّا مبسطًا لهذا الإشكال بأن يُجلس البنات في الخلف، ويجلس البنين في المقاعد الأمامية.

غير أن هذا الحل، وإن عالج مشكلة السمع، فلن يعالج مشكلات أخرى بعضها شائع في زماننا كقصر النظر أو طوله، وكذلك الحركة الدائبة التي يُطَالَبُ بها الأستاذ في نظم التعليم الحديثة لجذب انتباه الطلاب، وقد تقتضيها حالة التدريس في القاعة أو المعمل.

ثم لك أن تتصور اثنين: أحدهما يفوق سمعه سمع الآخر ببضعة أضعاف، كيف سيكون حال أحدهما تجاه الآخر لو قام أحدهما، فخاطب الأستاذ أو خاطبه الأستاذ؟ وقد أبانت بعض الدراسات أن الطالبات قد تصرف انتباههن أصوات ضوضاء في مستويات منخفضة ربما لم تشغل عشرة أضعافها الأولاد، فإذا كان هذا هو الحال في قاعات الدراسة فكيف ستكون الحال داخل المعامل والأنشطة التي تتطلب حركة وعملًا تقوم به مجموعات؟

إن مما أخشاه أن يتحول طلابنا إلى متتبعين للحشرات والذباب من جراء التجارب الجديدة تمامًا كما فعل (جستن) وقصته حقيقية... ثم يوصموا زيادة على ما وصم به

بألقاب أخرى تعيق البناء، وتغرز في أنفسهم الشعور بالقصور، فهذا معيار وفي الجعبة غيره معايير!

أوضحت بعض الدراسات أن الذكور يتفوقون على الإناث في الحركات الكبرى العامة؛ كالقفز، أو الجري، بينما تتفوق البنات في الحركات الدقيقة؛ كالكتابة، أو القص بالمقص، أو الحركات التي تحتاج إلى تناسق مثل القفز في مواضع محددة، أو من خلال حلقة.

وفرع عن ذلك تفوقهن في القدرة على الإمساك بالقلم بشكل أكثر دقة، ومن ثم الكتابة، وقد أشارت إلى هذا دراسة أجراها الباحثون في فرجينيا تك (Virginia Tech)، حيث وجدوا أن المنطقة المسؤولة عن المهارات الدقيقة في أدمغة البنين تتطور لتلحق بنظيرتها لدى البنات بعد عام كامل.

أثبتت الدراسات ميل البنات إلى قراءة القصص القصيرة والروايات، بينما يفضل البنون، قراءة الأحداث الحقيقية، مثل المعارك، والأخبار التاريخية، بل ميلهم إلى بعض المواد المجردة كالرياضيات، وكذلك حبهم لمعرفة كيفية عمل الآلات، وكيف تؤثر الثعابين، وما هي أسباب انفجار البراكين، وغيرها من الأمور التي تحتاج إلى تصور مجرد بعيد عن العاطفة[1].

ومن التطبيقات التي يمكن أن يفاد منها، فيحسن من أداء البنين في واجبات القراءة أن يطلب منهم رسم خريطة المكان الذي وقعت فيه أحداث القصة مثلًا، فيدفعهم ذلك إلى التركيز في تفاصيل القصة وتصورها، أما البنات فمجرد التفاصيل

(1) Sax: Single Sex Education Ready for Prime Time.

في القصة تشدهن، ويمكن سؤالهن مباشرة عن شعورهن أو كيفية تصرفهن فيما إذا كنّ في موقف شخصية من شخصيات القصة[1].

وهذا العرض يبين لك وجود فروق في طرق التعليم مبرمجة إحيائيًّا، تعكس فروقًا عصبية وجسدية بين الجنسين، ينبغي اعتبارها عند إرادة الحصول على نتائج أفضل في أثناء العملية التعليمية. وذلك في جوانب شتى أهمها؛ تدرج السلم التعليمي للمواد، فينبغي أن يوضع لكل جنس منهج يناسب استعداده وقدراته، وكذلك مما ينبغي مراعاة أسلوب الخطاب لكل جنس على حدة، بحيث يكون أقرب إلى إفهامه، ومع كل ذلك يقف الاختلاط في التعليم منذ صفوفه الأولى عائقًا دون الوصول إليه.

وعام (٢٠٠٠م) قام بنيامين رايت، (Benjamin Wright)، مدير مدرسة ثرقود مارشال الابتدائية، (Thurgood Marshall) في مقاطعة سياتل بواشنطن، بتحويل قاعات مدرسته من قاعات مختلطة، إلى قاعات غير مختلطة، فقد كان قلقًا بشأن العدد العالي لحالات عدم الانضباط السلوكي، كان يرى كل يوم نحو (٣٠) طفلًا يرسلون إلى المكتب المسؤول بسبب مشكلات الانضباط، فقرر أن يبحث عن علاج في الفصول غير المختلطة، وما هو إلا قليل حتى تجاوزت النتائج آماله.

فلم يكن التحسن السلوكي هو الفائدة الوحيدة التي جناها، قال: «لقد فعلناها فقط من أجل التأكيد على الانضباط الذي استحوذ على اهتمامنا، ولكن ما إن قمنا بهذا التحول، حتى أصبح البنون قادرين على التركيز في المواد الدراسية، وكذلك البنات».

ثم بيَّن ارتفاع نسبهم المذهلة.

---

(١) For more details see: Sax: Why Gender Matters? pp.107_111. نقلاً عن الاختلاط في التعليم للأزرق، مصدر سابق.

ومضت الأيام، وتقرر تعيين الأستاذ رايت مديرًا عاما لمدارس النصر (Victory)، في فيلاديفيا (Philadelphia)، فكرر التجربة نفسها لتجيء النتائج في أربع مدارس مشابهة للنتائج الباهرة لمدرسة ثرقود مرشال السابقة[1].

وفي الطرف الآخر من واشنطن واشنطن دي سي (Washington DC)، وفي أفقر قسم منها في مقاطعة كولومبيا، وتحديدًا في مدرسة ماتن (Moten) الابتدائية قام مسؤولها جورج سمثرمان (George Smitherman) بخطوة جريئة، إذ قرر فصل قاعات الدروس، فالبنات يدرسن في قاعات خالية من غيرهن، والبنون كذلك، بل قام بالفصل بينهم حتى في أثناء ساعة تناول الطعام... لم يستشر جورج أحدًا، ولم يخبر المدير العام للمدارس، بل مضى في عمله بهدوء تام.

فجاءت النتائج في يونيو من عام (٢٠٠٢م) لتذهل الجميع، فقد قفزت نتائج اختبارات الرياضيات في عام واحد من متوسط (٤٩٪) إلى (٨٨٪)، أما في القسم الأدبي فقد ارتفعت النسبة من (٥٠٪) إلى أكثر من (٩١٪)، أما على نطاق الانضباط السلوكي فقد نقصت المشكلات المتعلقة بالأدب بنسبة (٩٩٪) كما قال إسمثرمان لـ (سي إن إن).

أما في جانب التحرش بالطلاب فقد أشار تقرير للكونغرس الأمريكى إلى أن نحو ٤,٥ مليون ممن يدرسون في المدارس الأمريكية ما بين دار الحضانة والصف الثانى عشر يتعرضون لسوء سلوك جنسي من قبل الموظفين بالمدارس... معظم التحرش لا يتم التبليغ عنه ولو بلغ عنه ففي كثير من الأحيان لا يتخذ أي إجراء... ولا أحد أبدًا

(1) Sax: What's the Evidence? What Have Researchers Found When They Compare Single-Sex Education with Coeducation?, online at: http://www.singlesexschools.org/evidence.html#before

لا المدارس ولا المحاكم ولا الحكومة وجدت طريقة فعالة لإبعاد المدرسين المتحرشين عن فصول الدراسة[1].

ومع كل ما ذكر من مساوئ الاختلاط في التعليم ومع هذا كله تنص (سيداو) على ضرورة توفير التعليم المختلط، الجزء الثالث من المادة العاشرة (ج) بل ومصرون على تفعيل هذه التوصيات وجعلها ملزمة للـــدول الأعضاء، وهذا يدل بوضوح على أن القضية هي إفساد وتدمير للمجتمعات ليس إلا، وذلك ليسهل اقتيادها واستغلالها، ومما يزيدها وضوحًـــا كذلك أن القائمين على هذه التنظيمات الأممية هم من الشـــواذ والشاذات فكريًّا ونفسياً وجنسيًّا.

تقول الناشطة النسائية الإسلامية كاميليا حلمي[2] بعد أن وجهت جهدها للدفاع عن القضايا الأصيلة للمرأة المسلمة في أروقة الأمم المتحدة، وكُلِّل هذا الجهد بإصدار وثائق بديلة من منطلق إسلامي تحاكي بها تلك التي فرضتها علينا الأمم المتحدة:

«عدد كبير من أعضاء تلك اللجنة من أصحاب التوجه الأنثوي، وصاحبات هذا التوجـــه يرفعن شـــعار لا للحياة الزوجية ولا للأمومة ولا للرجل نفســـه، ويروجن مقولة أن الزواج ســـجن، والأمومة عبودية للمرأة وأحـــد العوائق لتوليها المناصب القيادية، ويروجن للعلاقات الجنسية الشاذة».

(1) http://www.usatoday.com/news/nation/2007_10_22_1021049676_x.htm
http://www.washingtonpost.com/wpdyn/content/article/2007/10/21/AR2007102100144_pf.html

(٢) المهندســـة كاميليا حلمي مديرة اللجنة الإســـلامية العالمية للمـــرأة والطفل، تخَرَّجت في كلية الهندســـة جامعة الإســـكندرية عام ١٩٨٤م، ومتزوجة من مهندس استشـــاري معماري، ولديها ثلاثة من الأبناء: اثنان بالمرحلة الجامعيـــة، والثالث على أعتاب الثانوية، تتـــولى إدارة المكتب الرئيس للجنة الإســـلامية العالمية للمرأة والطفل بالقاهرة، المنبثقة عن المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة منذ عام ١٩٩٨م حتى الآن.

obeikan.com

## المبحث الثاني

# الاختلاط في التعليم الجامعي

ففي مرحلة التعليم الجامعي يكون النضج والبلوغ لدى الجنسين قد حصل، بل يكون في أوج الشدّة، فتكون المفسدة أكبر، وتحت مظلّة الاختلاط، ينطلق الطلاب من كلا الجنسين إلى تبادل النظرات المسمومة والكلمات الداعية إلى الفجور، ونحن نشاهد النتائج الخطيرة لهذا الاختلاط في هذه المرحلة والمفاسد التي عمّت، ما وضع العالم أمام مشكلات أخلاقية واجتماعية خطيرة يكاد يستعصي حلها، وأمراض فتاكة استعصى على الطب علاجها، في هذه المرحلة تكون تجربة الاختلاط أعمق، ومن ثم تكون الإشكاليات المترتبة عليها أخطر، فيكثر التحرش والابتزاز وكذلك الزواج السري وكذلك العرفي، وتظل الفتاة هي الجانب الأضعف في هذه المعادلة الخطرة، ومن ثم تكون هي الخاسر الأكبر في مثل هذه المغامرات غير محسوبة النتائج، ولكن قبل البدء في صور الاختلاط الجامعي يحسن بنا أن نذكر كيف بدأ الاختلاط في جامعاتنا العربية.

### المطلب الأول

## بداية الاختلاط في الجامعات العربية

وهذه البداية قد حكاها (طه حسين) في الاحتفال بتكريم أولى خريجات الجامعة وأول طيارة مصرية في فبراير ١٩٣٢م حيث قال في كلمته: «أظن أن موقفي الآن

-ولست من الرجال الرسميين- يسمح لي بأن أكشف لحضراتكم عن مؤامرة خطيرة جدًّا حدثت منذ أعـــوام، وكان قوامها جماعة من الجامعيين، فقـــد ائتمر الجامعيون، وقرروا فيما بينهم أن يخدعوا الحكومة، وأن يختلســـوا منها حقًّا اختلاسًا لا ينبئونها به، ولا يشـــاورونها فيه، وهو الإذن للفتيات بالتعليم العـــالي في الجامعة المصرية، وأؤكد لكم أيها الســـادة، أنه لولا هذه المؤامرة التي اشـــترك فيهـــا الجامعيون وبنوع خاص أحمد لطفي الســـيد باشـــا وعلي إبراهيم باشـــا، وهذا الذي يتحدث إليكم، لولا هذه المؤامرة التي دبرناهـــا سرًّا في غرفة محكمة الإغلاق لما أتيح لنا ولا للاتحاد النســـائي أن أقدم إليكم الآن محامية مصرية وأديبـــات مصريات، اتفق هؤلاء الثلاثة فيما بينهم أن يضعوا وزارة المعارف أمام الأمر الواقع، وكان القانون الأســـاسي في الجامعة يبيح دخـــول المصريين، وهو وإن كان لفظًا مذكـــرًا، فإنه ينطبق على المصريين والمصريات، وعلى ذلك ائتمرنـــا على أن تقبل الفتيات، فقبلناهـــن، ولم نحدث أحدًا بذلك، حتى إذا تم الأمر، وأصبح لهن حق مكتســـب في الجامعة علمت الوزارة أن الفتيات دخلن الجامعة»[1] إذًا، فقد كانت بداية الاختلاط مبنية على مؤامرة قد نُسجت خيوطها بليل، وحيكت بكتمان تام، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لم يسعَ هؤلاء إن كانوا صادقين في عنايتهم بتعليم المرأة إلى فتح جامعة نســـائية لتعليم الطالبات فقط أم أن المسألة هي فرصة وجدوها مواتية لهم، فاستغلوها في فرض الاختلاط؟

والراصد للتغيرات الاجتماعية، وبخاصة التغيرات المدفوعة بالضغوط الدولية في الدول الإســـلامية يتبدى له أن تلك التغييرات تمت بقرار سياسي وبمساعدة النخب (المتنورة) أو (المتغربة) بالأصح، كما يذكر جون إل إســـبوزيتو أستاذ الدين والشؤون الدولية في جامعة جورج تاون ورئيس تحرير موســـوعة أكســـفورد للعالم الإسلامي الحديث، ويشرح ذلك بقوله: «كما هو الحـــال في معظم الإصلاحات الحديثة جاءت

(١) من مجلة حواء، (ص٢٣)، العدد (١١/ ١٢٥٥) أكتوبر ١٩٨٠م.

هذه الإصلاحات من جانب الدولة، وليس من جانب الشعب، وتم طرحها من الأعلى لا من الأسفل، ولم تكن منبثقة عن رغبة ومطالبة الشعب والزعماء الدينيين، بل من الحكام وأقلية من نخبة المحدثين، وقد شُرِّعت من الأعلى مبررة في الغالب بالاعتقاد أن القلة المتعلمة والمتنورة (الحديثة) هي التي ترسم المستقبل للقطاع المحافظ من المجتمع الأكثر (تقليدية) والأقل تنورًا»[1].

وبعد أن انقدحت أول شرارة لهذا الاختلاط في جامعة فؤاد في القاهرة بدأت الجامعات العربية في فتح باب القبول للطالبات دون أي مراعاة لأوامر الله ورسوله ﷺ، وكذلك دون مراعاة لحق المرأة في خصوصيتها وحيائها وبعدها عن الرجال الأجانب، فأصبحت الفتاة وولي أمرها يعانيان الأمرّين من جراء هذا الأمر، فهو من جانب يريد لابنته أن تتعلم، وتحصل على الشهادة، ومن جانب آخر يخشى عليها من آثار هذا الاختلاط ومفاسده.

## المطلب الثاني

## صور الاختلاط في الجامعات

إن هذا الاختلاط واقع في كل المجالات: في قاعات التدريس؛ حيث الطلاب والطالبات، وفي جميع المرافق التابعة لها؛ المكتبة، والمختبرات، والمقاصف، والممرات، والحدائق، والمسرح، ووسائل المواصلات، وغيرها من المجالات الموجودة في الجامعة.

فالاختلاط الجامعي اختلاط مفتوح تتعدد صوره بتعدد مجالات الجامعة بمعنى أنه ليس للفتاة أي خصوصية، ولا أي حق، فهي كالشاب تمامًا إلا في دورات المياه.

(١) **النخب المتغربة والصواب السياسي**، ملاك الجهني https: / /groups.google.com /forum /m.

ففي مقاعد الدراسة ليس لها الحق في أن تحدد من يجلس بجانبها، فقد يكون رجلًا أو امـرأة فضلًا على أن يكون لهـا ولزميلاتها قاعات خاصة بهـن وكذلك من يتولى تدريسـهن، فقد يكون رجلًا أو امرأة، وكذلك ليـس لهن الحق في أن يكون لهن باب خاص بهن للخروج والدخول، وليس لهن منطقة خاصة بهن في قاعة الدراسـة (إما في آخـر القاعة أو الجزء الجانبي منها مثلًا) وقس على هذا الكلام باقي مرافق الجامعة كالمكتبة والمختبرات والممرات والحدائق والمطعم.

ومع طـول اليوم الدراسي الذي قد يمتد أحيانًا لأكثر من تسـع سـاعات، فيقع هناك حرج شـديد على الطلاب والطالبات في هذه الأماكن المختلطة خاصة المتدينين منهم، والمتدينات، وكذلك تعاني الفتاة المنقبة أكثر من غيرها؛ وذلك لبقاء النقاب على وجهها كل هذه الفترة، فهو ظلم لها وانتهاك لحريتها.

وإليك بعض صور هذا الظلم على لسان بعض المنقبات:

تقول إحداهن: الرجل لو يجرب أن يضع قماشًـا على وجهه سـاعة واحدة لعلم ماذا يعني وضع المنقبات في البيئة المختلطة ثماني سـاعات متواصلة، وتقول إحداهن أيضًا: إن البنات ـ خصوصًا ـ يحببن أن يتضاحكن، ويمزحن، وهذا ممكن في التعليم غير المختلط، لكـن في البيئة المختلطة، فإنه لا يجوز للفتيات أن يتضاحكن، ويقهقهن بين الرجال، وهذا يعنـي أن الفتاة في البيئة المختلطة يجـب عليها أن تكون متحفظة ومشدودة طوال ثماني سـاعات، وهذا أمر مرهق جدًّا، هذا يعني أن التعليم المختلط يقتـضي حرمان الفتاة الملتزمـة بالضوابط الشرعية من حق المـرح والفكاهة والمزاح لتلطيف أجواء الدراسة!

وتقول إحداهن: إنه في البيئات غـير المختلطة كثيرًا ما تمر أحداث نحتفل بها مثل التخرج وسـفر إحدى الصديقات أو تماثل إحدى الزميلات للشـفاء ونحو ذلك،

وفي هذه الحفلات نتخذ كل وسائل البهجة، بينما يستحيل كليًّا أن نحتفل بمثل هذه البهجة في البيئات المختلطة، وتقول إحداهن أيضًا: إن الفتيات في الجامعة يتحدثن للدكتورة علنًا ببعض خصوصياتهن، فالطالبة المتزوجة إذا كانت في فترة حمل أخبرت الدكتورة في القاعة، وهي سعيدة بذلك، وكذلك إذا وضعت جنينها، وعادت للدراسة تحادثن عن الموضوع علنًا في القاعة، وكذلك إذا كانت الطالبة تمر بحالة عذر شرعي كفترة الطمث لم تجد حرجًا أن تخبر الدكتورة، فتمتنع من مس المصحف مثلًا في درس القرآن، كل هذا يتم براحة وانسيابية ومرونة بين بنات جنس واحد، لكن هذا الارتياح سيتوتر تمامًا في الجامعة المختلطة، وستفقد القاعة الدراسية كل حميميتها، وستتمزق الطالبة خجلًا أن تقول أمام الطلاب: إنها تمر بفترة الطمث أو إنها حامل! وخصوصًا الفتيات الخجولات.

وتقول أخرى أيضًا: إن المرأة جبلها الله على حب الزينة، ويشهد لهذا قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]، ففي البيئة غير المختلطة في الجامعة تستطيع الفتاة أن تضع عطرًا إذا دخلت المبنى، وتلبس الملابس الجميلة وشيئًا يسيرًا من المكياج، بينما في البيئة المختلطة، فسنكون محرومات من هذا، ويجب أن نجتنب الزينة.

فهذا يعني أن الفتاة في البيئة المختلطة محرومة من حقها الفطري في التجمل!

باختصار شديد الفتاة في البيئة المختلطة ستتكلف ضوابط وقيودًا تحدّ من حريتها وارتياحها، بينما في البيئة غير المختلطة ستمارس حياتها الطبيعية، وتمرح، وتأكل، وتتحدث بمساحات وحرية أوسع.

فالنبي ﷺ جعل للنســاء في المســجد منطقة خاصة بهن لا يدخلها الرجال مع أن مكوثهن في المســجد أقل بكثير من مكوث الطالبــات في الجامعة، وذلك حفاظًا على حق المرأة وحريتها.

وها هي السيدة الأولى كما يقولون في أكبر دولة في العالم وزوجة الرئيس الأمريكي ووزيرة الخارجية تقول في مذكراتها، وهي تتحدث عن حياتها الجامعية، حيث درست في جامعة غير مختلطة:

«جامعتنــا التي كانت للبنات فقــط ضمنت لنا التركيز عــلى تحصيلنا الأكاديمي وتميزنا في الأنشــطة خارج نطاق الفصل، مما كنا قد نخسره في جامعة مختلطة. النساء هن فقط من أدرن كل الأنشــطة الطلابية بكل أنواعها، وشعرنا بحرية أكبر لنخاطر، لنجرب، ونرتكب الأخطاء، بل حتى لنفشــل أمام بعضنا. كان أمرًا حتميًّا أن ترأس الطالبــات فتاة، وأن تتولى أمر تحرير مجلة الجامعة فتــاة، وأن تتميز على الجميع في أي مجــال فتاة؛ أي فتاة منا... وهذا قد يشرح تميز عدد غير متوقع من خريجات الجامعات ـ المخصصة للفتيات فقط ـ في تخصصات عادة ما يندر وجود النساء فيها.

غياب الطلاب الذكور سمح لنا براحة نفســية أكبر، وأوجد لنا نوعًا من المساحة الآمنة لنتجاهل (لبكة) المظاهر، بمعنى الكلمة، طيلة الأســبوع. كان تركيزنا ينصب على الدراسة دون أن نلتهي أو نقلق بشأن كيف نبدو في الفصل».

وتقول لاحقًا:

«حين كنت في سكن ابنتي المختلط في جامعة ستانفورد، حيث كان الأولاد والبنات معًا في الممرات، كنت أتساءل كيف يستطيع أي أحد أن يدرس في مثل هذا الجو؟!».

هذا ما قالته هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية، وزوجة الرئيس الأسبق لأمريكا بِل كلنتون في سيرتها الذاتية Living History[1].

وهـذه تجربة لإحدى الكليات الطبية المخصصة للنسـاء، وهـي كلية دبي الطبية للفتيات، فقد أُسِّسـت هذه الكلية بمبادرة من رجل الأعمال الإماراتي الدكتور سعيد لوتـاه عام ١٩٨٦م، وحصلت على ترخيص وزارة التعليم العالي عام ١٩٩٦م، وهي جامعة، كما يدل اسـمها خاصة بالفتيات، متخصصـة في تدريس مادتي الطب العام والجراحة العامة، وتمنح بموجب ذلك شـهادة البكالوريوس، وقد أضيف إليها عام ١٩٩٢م كليـة للصيدلة، وتمنح بكالوريوس الصيدلة منذ عام ١٩٩٨م، وهي خاصة أيضًا بالفتيات.

وتحظـى هذه الكلية باحترام محلي ودولي كبيرين؛ نظرًا للمسـتوى التعليمي الذي تنتهجه وتعتمده، فشـهاداتها معترف بها من قبل منظمة الصحة العالمية ومن المجلس الطبي البريطاني. وقد خرّجت الكلية حتى الآن عشر دفعات، ويصل عدد الطالبات فيها سنويًّا إلى ١٥٠ طالبة.

للكلية حرم خاص بها وملحق به سـكن للطالبات، وتبلغ تكلفة الدراسة بها ٤٠ ألف درهم سـنويًّا لدراسـة الطب بفرعيه و٢٦ ألف درهم سنويًّا لدراسة الصيدلة، والكلية تفتـح باب القبول لجميع الطالبات بغض النظر عن الجنسـية، لكنها تُخضع القبول فيهـا للتنافس من خلال مجموع العلامات في شـهادة الثانوية العامة- الفرع العلمي، وتوفر الكلية السـكن للطالبات الراغبـات بتكلفه تتراوح بين ٦-٧ آلاف درهم[2].

(١) جريدة **الرياض** عدد (١٢٤٠٥) في (٧/ ٣/ ١٤٢٣هـ) محمد الشويعر.

(2) http://www.dmcg.edu/

## المطلب الثالث

# آثار الاختلاط في الجامعات

قد لا تكون هذه الآثار واضحة في التعليم العام بقدر وضوحها في التعليم الجامعي؛ ذلك أن الشـــاب والفتاة في المرحلة الجامعية قد وصلا إلى سن الزواج، وأدركا حاجة كل منهما للآخر، خصوصًا مع تجمل كل جنس منهم للآخر من جهة وصعوبة الزواج من جهة أخرى، فينجم عن ذلك بعض الآثار، ومنها:

### أولًا: الصداقة بين الجنسين

وهذا لا عهد لأبناء المســـلمين ولا لبناتهم به، فهو دخيل على المجتمع المســـلم من عادات الكفار وطباعهم، وإلا فكيف يصحب الرجل المرأة الأجنبية عنه كما يصحب الرجل الرجل، فيحادثها، ويضاحكها، ويأكل معها، ويشرب. إن الإســـلام منع أي علاقـــة بين الرجل والمرأة إلا أن يكـــون زوجًا أو محرمًا لها، فلا تقـــوم الصداقة مقام المحرمية بتاتًا.

بـــدأت ظاهرة الصداقة بين الجنســـين تغـــزو مجتمعاتنا نتيجة الغـــزو الاجتماعي والفكري الغربي التي فشت فيها هذه الصداقات، فكثر استعمال مصطلحات الصديق الذكـــر (Boy Friend) والصديقة الأنثـــى (Girl Friend) التي لا تعبر عن علاقة صداقة بريئة، وإنما هي علاقة غرامية محمومة، أو علاقة جنسية مباشرة.

إننـــا نحاول أن نثير هذه الأمور لننفذ إلى هذه المســـألة، كـــي نفهم المراد من عبارة الصداقة بين الجنســـين، ونســـأل: هل المراد من كلمة الصداقة وجـــود علاقة طبيعية بـــين رجل وامرأة تمامًا كما هي العلاقة بين رجل ورجل وبين امرأة وامرأة في شـــؤون المحادثة، وفي شؤون الدرس، وفي شؤون الحياة الاجتماعية العامة؟

وهل المراد من الصداقة هو تلك العلاقة التي تقوم على التفاهم والاحترام المتبادل اللذين تحكمهما حاجة الطرفين إلى لقاء من أجل قضايا فكرية أو اجتماعية أو سياسية؟ إذا كان المقصود هو هذا، فإن التحفّظات التي يمكن أن نستوحيها من بعض الأجواء الإسلامية الأخلاقية، ومن بعض الأحكام الإسلامية، تتركّز حول نقطتين:

**النقطة الأولى**: هي أنّ طبيعة هـذه الصداقة التي نريد أن تتحوّل إلى أجواء طبيعية من اللقاء، ومن الاختلاط، قد توقع الطرفين في بعض الإشـكالات الشرعية، وذلك أن هذه الصداقة لا يمكن أن تتم بشكل طبيعي بعيدًا عن العُقَد التي يعيشها الطرفان، إلا بالانحراف عن الخط الإسلامي.

**النقطة الثانية**: هي أن طبيعة التنوّع بين الرجل والمرأة لا يمكن لها أن تضبط الصداقة عند حدودها الطبيعية؛ لأن الصداقة تمثل حالة شعورية معينة ترتفع المشاعر الحميمة فيها كلما تعمّقت أكثر، وكلما شـعر الطرفان بالوحدة أكثر، ومن الطبيعي أنّ الغريزة سوف تعبر عن نفسها في هذه الحالة، بطريقة أو بأخرى، وإن تجاهلها الطرفان، إلا أنها تتجمع في المشاعر والأحاسيس، لتصل في نهاية المطاف إلى الانفجار بطريقة أو بأخرى.

إنّنا نركز على هذا الفهم المتحفظ للصداقة بين الجنسين، حتى لو بدأت هذه العلاقة بريئة في البدء، ولكنها سرعان ما تتغير، وتتطور إلى ما هو أكثر من ذلك، أي إلى الحبّ والرغبة في الاقتران، وحتى إذا لم تصل إلى هذا المستوى، فإنّ حميمية الجنسين لا تجعلها شـبيهة بالعلاقة داخل الجنس الواحد، يقول رسول الله ﷺ: «**لا يخلونّ رجل بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما**»[1]. ودخول الشيطان يكون بما يوحيه إليهما من انجذاب عاطفي

(١) رجاله ثقات رجال الشـيخين غير علي بن إسـحاق ـ وهو المروزي ـ فقد روى له الترمذي، وهو ثقة. وهو في **مسند عبدالله بن المبارك** (٢٤١).

ومـن طريق عبدالله بن المبارك أخرجه الطحـاوي، (٤/ ١٥٠)، وابن حبـان (٧٢٥٤)، والحاكم (١/ ١١٣)، والبيهقي (٧/ ٩١)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أبوعبيد في **الخطب والمواعظ** (١٣٣)، والترمذي (٢١٦٥)، وابن أبي عاصم في **السنة** (٨٨) و(٨٩٧)، =

وجنسي، قد يبدأ وسوسة، لكنه قد لا ينتهي بها؛ لأن كثرة اللقاء والاختلاط والخلوة بين الشاب والفتاة يهيج العواطف، ويحركها للمنكر، وفي دراسة أمريكية تبين أن نحو ٤٧٪ من ضحايا الاغتصاب في أمريكا كنّ ضحايا لاغتصاب أصدقائهن! ونحو عشرين في المئة كنّ ضحايا لاغتصاب أقارب وأصدقاء العائلة، وبعبارة أخرى: سبعون في المئة من الفتيات كنّ ضحايا للعلاقة (البريئة).

وهذا الذي نؤكده يمكن أن نفهمه أيضًا، من خلال ما توصّل إليه علماء الاجتماع في إجاباتهم عن السؤال المطروح بشكلٍ دائم، وهو:

هل يمكن أن تقوم صداقة بريئة بعيدة عن الجانب الجنسي بين الرجل والمرأة؟

- تفيد إجابات العلماء، أن قيام مثل هذه الصداقة أمر غير عملي وغير واقعي، وربما نستطيع أن نصل إلى هذه النتيجة من خلال ملاحظاتنا للواقع المعيش الذي تجاوز الكثير من الحدود في العلاقة بين الطرفين.
- إن الصداقة بين الرجل والمرأة، وإن أدّت إلى نتائج إيجابية على مستوى الواقع الأخلاقي، فإنها تؤدي في المقابل إلى نتائج سلبية كبرى في هذا المجال، فتكون الصداقة قضية من القضايا التي يكون إثمها أكبر من نفعها؛ وذلك يدخلها في جو التجربة الصعبة التي تقترب من الحرام، ومما يدل على أن الجانب الجنسي سيطغى ولا محالة على هذه العلاقة، فانظر إليهما إذا بلغ بأحدهما الإعجاب بالآخر، فإن كان له دين فإنه سيعرض على الطرف الآخر الزواج، وإن كان ضعيف الدين، فإنه سيعرض إقامة العلاقة المحرمة، فإنه لا مفر من هاتين النتيجتين إلا ما شذ، والشاذ لا حكم له.

---

= والبزار (١٦٦)، والنسائي في الكبرى (٩٢٢٥) من طريق النضر بن إسماعيل، عن محمد بن سوقة، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، فالإسناد صحيح.

ثم لننظر إذا كان أحدهما متزوجًا، فهل سيرضى الزوج لزوجته أن يكون لها صديق تذهب وتأتي معه كما يفعل الصديق مع صديقه أم لا؟ وكذلك بالنسبة إلى الرجل هل سترضى الزوجة بأن يكون لزوجها صديقة «إن الصداقة بين الرجال والنساء ليست صداقة فقط، ولكنها أيضًا علاقة جنسية، وهي ضرورية للصداقة، بخلاف الصداقة بين الرجل والرجل، وعندما توجد صداقة حقيقية بين رجل وامرأة فالنتيجة الطبيعية تكون علاقة جنسية يمارسانها معًا وإلى حد التخمة...»[1].

إنها مسألة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، ولكن كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

## ثانيًا: إطلاق النظر

قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] ثم أشار إلى مسبب هذا السبب، ونبه إلى ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ﴾، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أخيه الفضل قال: كنت رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر[2].

---

(١) **اغتصاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة** (ص٢٠٤)، د. أحمد علي المجذوب، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) البخاري باب وجوب الحج (٢/ ٥٥١)، نشر دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

قال جرير: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة، فقال: «**اصرف بصرك**»[1].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فالعينان زناهما النظر**»[3].

وعن سفيان عن ابن طاوس عن أبيه في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] قال: أي في أمر النساء، وقال وكيع: يذهب عقله عندهن[4].

ففي الجامعة يصعب على الطالب أو الأستاذ غض بصره عن الطالبات والأستاذات؛ لأنه مخالط لهن، فالأستاذ مع طالباته أو الأستاذة مع طلابها في قاعة التدريس أو الطالب مع زميلته في قاعة المختبر، فكيف يستطيع الطالب أن يتابع شرح معلمته دون النظر إليها مرة بعد أخرى، وكذلك الحال مع زميلاته في القاعة ماذا عساه أن يفعل، وكيف يستطيع غض بصره؟ وهو كلما أرسله اصطدم بصره بهذه أو بتلك.

---

(١) رواه مسلم باب نظر الفجأة (٣/ ١٦٩٩)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دون طبعة ولا تاريخ.

(٢) سلمة بن أبي الطفيل ـ وأبوه هو الصحابي عامر بن واثلة ـ روى عنه محمد بن إبراهيم التيمي فطر بن خليفة، وذكره ابن حبان في **الثقات** (٤/ ٣١٨)، وقول ابن خراش فيه: مجهول، رده الحافظ ابن حجر في **التعجيل** (ص١٦٠)، وباقي رجال السند على شرط الصحيح غير محمد بن إسحاق، فقد روى له البخاري تعليقًا ومسلم متابعةً، وهو حسن الحديث، لكنه مدلس، وقد رواه بالعنعنة.

وأخرجه الدارمي (٢٧٠٩)، والبزار (٩٠٧)، والطحاوي في **مشكل الآثار** (٢/ ٣٥٠)، وابن حبان (٥٥٧٠)، والحاكم (٣/ ١٢٣) من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وفي الباب عن بريدة عند أحمد، وسيأتي في **المسند** (٥/ ٣٥١) الطبعة الميمنية ولفظه: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**» وفي إسناده شريك بن عبدالله النخعي، وهو سيئ الحفظ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، والحديث هنا يتقوى به.

(٣) أخرجه البخاري، باب زنا الجوارح دون الفرج، (٥/ ٢٣٠٤)، ومسلم، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا (٤/ ٢٠٤٦) واللفظ لمسلم.

(٤) **تفسير ابن كثير** (٢/ ٢٦٧) تحقيق: سامي سلامة، نشر دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

والرسول ﷺ يقول: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[1].

فأين أثر هذا القول في فتوى هؤلاء المجيزين؟

ومن عجيب ما قرأت من ضعف الرجل أمام المرأة ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه وقع في سهمه جارية يوم جلولاء كأن عنقها إبريق فضة، قال: «فما صبرت أن قمت، فقبلتها، والناس ينظرون»[2].

فهذا يدل على أنّ داعي الوصل إذا دعا فقلّ من يصبر عن الاستجابة له، فإذا كان الداعي حلالًا، فكما قال ﷺ: «**إن من أماثل أعمالكم إتيان الحلال**»[3]، وأمّا إذا كان الداعي حرامًا، وكان المدعو رقيق الدين مريض القلب، أو كان قويًّا، لكنّه لا منفذ مباح له فلا تسل عن الفساد حينئذ، إذ حتّى لو لم يستجب لداعي الزنا فإنّ صور النساء لا تبرح فؤاده تفسد عليه تفكيره وعبادته، قال ابن الجوزي ـرحمه اللهـ: «البصر صاحب خبر القلب ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول فيها الفكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة، ولما كان إطلاق البصر

---

(١) رواه البخاري، باب ما يتقى من شؤم المرأة، (٥/ ١٩٥٩)، ومسلم، باب أكثر أهل الجنة، (٤/ ٢٠٩٧).

(٢) المصدر السابق: (ص١٧٩).

(٣) أزهر بن سعيد الحرازي، روى عنه ثلاثة، وذكره ابن حبان في **الثقات**، وقال ابن سعد: كان قليل الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. معاوية بن صالح: هو ابن حدير الحضرمي الحمصي قاضي الأندلس.

وأخرجه البخاري في **التاريخ** (٦/ ١٣٩)، والطبراني في **الكبير** (٢٢/ ٨٤٨)، وفي **الأوسط** (٣٢٧٥)، وفي **مسند الشاميين** (٢٠٤٧)، وعنه أبونعيم في **الحلية** (٢/ ٢٠) من طريق عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، بهذا الإسناد.

وله شاهد من حديث جابر، سلف برقم (١٤٥٣٧)، وأخرجه مسلم (١٤٠٣) (٩).

وآخر من حديث عبدالله بن مسعود عند الدارمي (٢٢١٥)، والبخاري في **التاريخ** (٥/ ٦٩)، والبيهقي في **الشعب** (٥٤٣٦). وروي مرفوعًا وموقوفًا.

وقوله: «**إن من أماثل أعمالكم إتيان الحلال**» يشهد له حديث أبي ذر عند البخاري في **الأدب المفرد** (٢٢٧)، ومسلم، (١٠٠٦)، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**».

سببًا لوقوع الهوى في القلب أمر الشرع بغض البصر عما يخاف عواقبه، فإذا تعرضت بالتخليط، وقد أمرت بالحمية، فوقعت إذًا في أذى، فلم تضج من أليم الألم»[1].

عن أبي الطفيل عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[2].

وعن جرير بن عبدالله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة، فقال: «**اصرف بصرك**»، نعمت الوصيَّة، اصرف بصرك لينصرف قلبك، وإلّا فلات ساعة مندم.

إنّ تقييد إباحة النظر للمرأة بخوف الفتنة والشهوة ونحو ذلك لا أراه إلّا ادّعاءً للعصمة؛ فإذا كان الشخص يدمن النظر للنساء السافرات، ويقول: إنّه لا يُفتن بهن، ولا يتأثر بمشاهدتهنّ فهو إمَّا مريض لا شهوة له، وإمّا معصوم، وإلّا فمن عرف أنّه غير معصوم كيف يُعرّض نفسه لفتنة وصفها النّبيّ ﷺ بأنّها أضرّ فتنة على الرجال؟!

قال أبوعبدالرحمن السلمي: قيل لأبي القاسم بن النصراباذي: إن بعض الناس يجالس النسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن، فقال: «ما دامت الأشباح باقية، فإن

(١) **ذم الهوى** لابن الجوزي، (ص١٠٦)، تحقيق: خالد السبع، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

(٢) سلمة بن أبي الطفيل ـ وأبوه هو الصحابي عامر بن واثلة ـ روى عنه محمد بن إبراهيم التيمي فطر بن خليفة، وذكره ابن حبان في **الثقات** (٤/ ٣١٨)، وقول ابن خراش فيه: مجهول، رده الحافظ ابن حجر في **التعجيل** (ص١٦٠)، وباقي رجال السند على شرط الصحيح غير محمد بن إسحاق، فقد روى له البخاري تعليقًا ومسلم متابعةً، وهو حسن الحديث، لكنه مدلس، وقد رواه بالعنعنة.

وأخرجه الدارمي (٢٧٠٩)، والبزار (٩٠٧)، والطحاوي في **مشكل الآثار** (٢/ ٣٥٠)، وابن حبان (٥٥٧٠)، والحاكم (٣/ ١٢٣) من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وفي الباب عن بريدة عند أحمد، وسيأتي في **المسند** (٥/ ٣٥١) الطبعة الميمنية ولفظه: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**» وفي إسناده شريك بن عبدالله النخعي، وهو سيئ الحفظ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، والحديث هنا يتقوى به.

الأمر والنهي باقٍ والتحليل والتحريم مخاطب به، ولن يجترئ على الشبهات إلا من هو بعرض المحرمات»[1].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله ﷻ مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، وإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[2].

عن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل ﷺ قال: «ابتليتم بفتنة الضراء، فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب، ولبسن رياط الشام وعصب اليمن، فأتعبن الغني، وكلفن الفقير ما لا يجد»[3].

وعن سعيد بن المسيب قال: «ما يئس الشيطان من ابن آدم قط إلا أتاه من قبل النساء»[4]، وعن سفيان الثوري قال: «ما بعث الله ﷻ نبيًّا إلا وقد تخوف عليه الفتنة من النساء»[5].

وتقييد تحريم النظر بالشهوة وخوف الفتنة متناقض؛ لأنّ النظر إلى المرأة سبب طبعي للفتنة وسبب لحدوث الشهوة، فكيف يجيزون السبب، ويحرمونه مع المسبب؟

عن الأصمعي قال: قلت لأعرابي: صِف الحبّ، فقال: «هو نبت بذره النظر، وماؤه المزاورة، ونماؤه الوصل، وقلته الهجر، وحصاده التجني»[6].

---

(١) **ذم الهوى** (ص١٦٧)، مصدر سابق.

(٢) أخرجه مسلم، باب أكثر أهل الجنة، (٤/ ٢٠٩٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دون طبعة ولا تاريخ.

(٣) **ذم الهوى** (ص١٧٨)، مصدر سابق.

(٤) المصدر السابق: (ص١٧٩).

(٥) المصدر السابق: (ص١٨٠).

(٦) المصدر السابق: (ص٥٠٥).

قال ابن الجوزي: «ومن التفريط القبيح الذي جر أصحاب الجنايات على النفس محادثة النساء الأجانب والخلوة بهن، وقد كانت عادة لجماعة من العرب يرون أن ذلك ليس بعار، ويثقون من أنفسهم بالامتناع من الزنا، ويقعون بالنظر والمحادثة، وتلك الأشياء تعمل في الباطن وهم في غفلة عن ذلك إلى أن هلكوا، وهذا هو الذي جنى على مجنون ليلى وغيره ما أخرجهم به إلى الجنون والهلاك، وكان غلطهم من وجهين:

**أحدهما**: مخالفة الشرع الذي نهى عن النظر والخلوة.

**والثاني**: تعريض الطبع لما قد جبل على الميل إليه ثم معاناة كفه عن ذلك، فالطبع يغلب، فإن غلب وقعت المعاصي، وإن غلب حصل التلف بمنع العطشان عن تناول الماء»[1].

قال الحسن رضي الله عنه: «من أطلق طرفه كثُر أسفُه»[2].

وروي عن عيسى عليه السلام: «إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب شهوة، وكفى بها فتنة»[3].

وقال ابن القيم ـرحمه اللهـ: «وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته»[4].

يقول نجيب محفوظ عن إحدى الطالبات، وذلك في بدايات الاختلاط في مصر: «تلك الزميلة الجامعية التي عاشت في كليتنا عامًا واحدًا، ولكنها بهرت خيالنا عهدًا

(١) مصدر سابق: (ص٤٩٨).
(٢) مصدر سابق: (ص١١٦).
(٣) مصدر سابق: (ص١١٤).
(٤) **روضة المحبين ونزهة المشتاقين** (١/ ٩٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.

طويلًا. كانت الزميلات عام ١٩٣٠م قلة لا يتجاوزن العشر عدًّا. وكان يغلب عليهن طابع الحريم، يحتشمن في الثياب، ويتجنبن الزينة، ويجلسن في الصف الأول من قاعة المحاضرات وحدهـــن كأنهن بحجرة الحريم بالترام. لا نتبـــادل تحية ولا كلمة، وإذا دعت ضرورة إلى طرح ســـؤال أو استعارة كراســـة تم ذلك في حذر وحياء. ولا يمر بسلام، فسرعان ما يجذب الأنظار، ويستثير القيل والقال، ويشن حملة من التعليقات.

في ذلـــك الجو المتزمـــت المكبوت تألقت ســـعاد وهبي كأنها نجم هبـــط علينا من الفضـــاء. كانت أجمل الفتيات وأطولهن وأحظاهن بنضج الجســـد الأنثوي. ولم تقنع بذلك، فلونت بخفة الوجنتين والشفتين، وضيقت الفستان حتى نطق، وتبخترت في مشيتها إذا مشـــت، وكانت تتعمد أن تدخل القاعة متأخرة بعد أن نستقر في مجالسنا، ويتهيأ الأســـتاذ لإلقاء محاضرته، ثم تهرول كالمعتذرة، فيرتج ثدياها النافران، فتشتعل الفتنة في الصفوف، وتندّ عنها همهمات كطنين النحل»[1].

## ثالثًا: العشق

يقول ابن الجوزي: «ويتأكد العشـــق بإدمان النظر وكثرة اللقاء وطول الحديث»، قلت: وهذا ما يوفره الاختلاط.

ويقول في موضع آخر: «وقد يتعرض الإنســـان بأســـباب العشق، فيعشق فإنه قد يرى الشـــخص فلا توجب رؤيته محبته، فيديم النظـــر والمخالطة، فيقع فيما لم يكن في حسابه[2]. والعشق بحر لا ساحل له من تولع به غرق، أو كاد، يقول الشاعر:

تولّعَ بالعشـــقِ حتى عشـــقْ ... فلمّـــا اســـتقلَّ به لـــم يطقْ

(١) **المرايا** (ص١٢٩) نجيب محفوظ، مكتبة مصر، دون طبعة ولا تاريخ.
(٢) **ذم الهوى لابن الجوزي**، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

رأى لجـــةً ظنّهـــا موجـــةً فلمّـــا تمكـــنَ منهـــا غرقْ

يقول: «وتلك ـ لعمر الله ـ الفتنة الكبرى، والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلّاقها، وملكت القلوب لمن يســومها الهوان من عشــاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد، فصيَّرت القلب للهوى أسيرًا، وجعلته عليه حاكمًا وأميرًا، فأوســعت القلوب محنة، وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها، وصرفتها عن طريق قصدها، ونادت عليها في سوق الرقيق، فباعتها بأبخس الأثــمان، وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالي في غرف الجنان، فضلًا عمّا هو فوق ذلك من القرب من الرحمن، فســكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس الذي ألْمها به أضعاف لذتها، ونيلُه والوصول إليه أكبر أســباب مضرتها، فما أوْشَــكَهُ حبيبًا يســتحيل عدوًّا عن قريب، ويتبرأ منه مُحِبُّه لــو أمكنه حتى كأن لم يكن له حبيب، وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين، ولا سيما إذا صار: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

وانظر إلى الإمام ابن الجوزي وهو من علماء القرن السادس وكذلك ابن القيم وهو من علماء القرن السابع قد ذكرا العشق، وحذرا منه مع أن لقاء الجنسين في ذلك الزمان لا يقارن بما هو الحاصل في زماننا وكذلك التهتك واللباس العاري لم يكن في عصريهما كما هو الحاصل عندنا، ومع ذلك حذرا أشد الحذر من العشق ودواعيه فكيف لو رأيا حال جامعاتنا ماذا عساهما أن يقولا؟!

وإنك لتعجب أشــد العجب عندما يستقر في أذهان كثير من الطالبات أن الجامعة هي الفرصة للــزواج والظفر بفارس الأحلام، فتحرص الطالبة أشــد الحرص على جمالها ولباسها وإبراز مفاتنها تمامًا كما هو الحاصل في جامعات الغرب، فينشأ من ذلك ألوان من البلاء لا يعلمها إلا الله.

وهنا يُثار سؤال كبير، وهو: هل من الضروري أن يبنى الزواج على حب؟ أم أن الحب الذي يأتي بعد الزواج هو الأصدق والأطول بقاء، فهل الحب يكون قبل الزواج أو يأتي بعده؟ وهل الحب يأتي قبل؟

سئل الفيلسوف الفرنسي (أندريه موروا) عن أكثر النساء أصالة وحبًّا ووفاء، هل هي صاحبة الشعر الأشقر أم الأسود الفاحم، أم الأحمر القاني؟ فقال: «صاحبة الشعر الأبيض هي أخلصهن وأوفاهن؛ لأن الإخلاص والوفاء والحب هم أبناء الزواج السعيد، والعشرة الطيبة والتفاهم المتبادل».

وهو يقصد بصاحبة الشعر الأبيض الزوجة التي عاشت مع زوجها حياة طويلة إلى أن بلغا سن الشيخوخة، وهو هنا يعبر عن أن الحب الحقيقي هو الحب الذي يصنعه الزواج، وليس العكس، الحب بعد الزواج وقد يفوت المرأة قطار الحب أحيانًا، وتعتقد أنها نهاية العالم، غير أن كل الحقائق تؤكد أن الحب الحقيقي يأتي بعد الزواج وليس قبله، وهو نتيجة وليس سببًا له.

فعندما تلقى بذرة الزواج في أرض طيبة خصبة، فإنها تنبت إخلاصًا وحبًّا ووفاء، وهناك حكمة تقول: إن زواج الحب يزول بزوال المعالم المظهرية للمحبين، فمع مرور الأيام تتوارى عناصر الجمال والرشاقة، والملامح الساحرة، ويتوارى معها الحب الذي كان، أي يصبح الحب كالشمعة التي يتضاءل ضوءها ووهجها مع مرور الوقت، حتى يختفي الضوء تمامًا، أما في حالة الزواج المؤسس على الاقتناع والتقارب الثقافي والتجاوب الفكري، ففي هذه الحالة يترعرع الحب مع مرور الأيام، ومع العشرة الطيبة الوجدانية.

يقول الخبير د. جون هاريسون (الرئيس السابق للوكالة الأمريكية لمستشاري الزواج): إن المرأة يمكنها أن تعيش حياة زوجية سعيدة، إذا لم يكن زواجها مؤسسًا على

الحب، ويضيف أن الأمر الغريب أن أغلب الزيجات السعيدة التي عرفها كانت مؤسسة على التفاهم المتبادل وليس الحب، فالزواج المبني على التفاهم هو الأقوى رسوخًا على مر السنين.

## رابعًا: التحرش الجنسي

لم يكن في دول الخليج والسعودية قوانين للحد من التحرش؛ وذلك بسبب عدم الاختلاط، ولكن بعد وجوده اضطرت هذه الدول إلى سنِّه، ولكن من يسن عقوبات التحرش يظن أنه بهذا حل الإشكال، نعم، معاقبة المتحرش لازمة ولا بد أن تسن القوانين لهذا، لكنها ستحل جريمة الاغتصاب، ولن تمنع فاحشة الزنا! وهنا تفترق الثقافة الغربية عن تعاليم الشريعة التي تحرم العلاقة ولو كانت بالتراضي...! هذا إذا سلمنا أن القوانين ستمنع، لكن الواقع يقول غير ذلك، إذًا فما الحل؟

الحل هو في منع الاختلاط.

وإليك بعض الإحصاءات عن التحرش وما أكثرها في هذا العصر؛ وذلك لأنه عصر الاختلاط الذي لم يُرَ له مثيل في تاريخ البشرية كلها.

يكفي أن تكتب كلمة التحرش في محرك البحث قوقل لتهولك النتائج حقيقة، وإليك بعضها: في دراسة بعنوان ضحايا الجنس من نساء الكليات الوطنيات، (The National of College Women Sexual Victimization: NCWSV)، وقد كانت هذه الدراسة ممولة من المعهد الوطني الأمريكي للعدل، (NIJ: National Institute of Justice)، قامت فيه الهيئة بإجراء استبانة بوسائل حديثة، استخدمت فيها الحاسب وسيطًا يتعامل مع الطلاب عوضًا عن مباشرة متخصصي الإحصاء؛ لضمان تجاوب أكبر قدر خاصة بعد أن بينت دراسة سابقة أن ضحايا الاغتصاب لا

تُبلغ نسبة كبيرة منها مراكز الشرطة لأسباب كثيرة منها -كما ذكرت الدراسة- اقتناع بعض الضحايا بأنهن سبب لما حل بهن.

أجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من (٤٤٤٦) امرأة كنّ يحضرن إلى الكلية مدة دراسية تتراوح بين سنتين إلى أربع سنوات، وذلك في خريف عام (١٩٩٦م)، ثم طرحت الأسئلة عليهن عام (١٩٩٧م) ما بين شهري مايو ومارس. بعد أن أُختِيرَ الطلاب عشوائيًّا بمساعدة شركة قوائم الطلاب الأمريكيين التي أعطت عنوان المدرسة ورقم كل طالب من طلاب العينة؛ فكانت النتيجة (٢٧,٧) عملية اغتصاب أو حادثة محاولة اغتصاب جنسي من كل مجموع ألف طالبة؛ أي (٢,٧٪).

ثم علق التقرير بالآتي:

«للوهلة الأولى قد يبدو أن الضحايا من النساء في الكليات غير عالٍ، امرأة واحدة فقط من كل (٣٦)! خلال العام الدراسي».

ثم عقب، فقال: «ومثل هذه النتيجة تمثل خطرًا على النقد، وتستدعي قلقًا على العواقب، فهذه الأرقام قاست عدد الضحايا في مدة تزيد على الستة أشهر قليلًا، ونتائج هذا المشروع بالرجوع إلى هذه المدة مشكلة لعدد من الأسباب؛ منها افتراض أن حالات الاضطهاد الجنسي تبقى هي نفسها خلال فصول الصيف، وتبقى ثابتة طيلة وقت بقاء الشخص في الكلية.

ومع ذلك لو اعتبرنا (٢,٨٪) حالة اضطهاد جنسي في فصل دراسي واحد من السنة، فالبيانات تشير إلى أن قرابة (٥٪) يتعرضن لحالات اضطهاد جنسي في السنة الدراسية الكاملة».

ثم ذكر التقرير أن النسبة ستصل مع مرور السنوات الدراسية عامًا بعد عام إلى حالة اضطهاد جنسي من بين كل أربع طالبات أو حالة من بين كل خمس.

وقد جاء في التقرير أن: «ساحات الحرم الجامعي ليست بروجًا عاجية بل هي مناطق ساخنة للنشاط الإجرامي»، وجاء فيه: «إن النساء اللآتي يقابلن الشبان داخل الحرم الجامعي في أوقات مختلفة، أكثر عرضة للاغتصاب من غيرهن».

وتذكر أخي الكريم، ليس حديثنا عن النظر المحرم أو التبرج المحرم أو الخلوة أو حتى الزنا بالتراضي!

فهل بدا لك أن الاختلاط المستغرب من أسباب شيوع جرائم الاغتصاب ولو في بيئة أكاديمية جادة محترمة في الولايات المتحدة الأمريكية التي وضعت من القوانين، وبذلت من الأموال لسد باب الجريمة شيئًا استهلكت ميزانيات ضخمة، فكيف بغيرها؟!

ففي أول مؤتمر إقليمي عن التحرش الجنسي وبمشاركة ناشطات وقيادات نسائية من ١٦ دولة عربية، الذي تم عقده في القاهرة ٢٠٠٩م تم الكشف عن خبايا جرائم المضايقات والتحرش الجسدي في الدول العربية، وكسر حاجز الصمت حول أخطر ظاهرة اجتماعية وصفها المؤتمر بأنها جريمة العصر العربية التي تنتهك مشاعر وأجساد ٨٠٪ من نساء العرب اللواتي أعلن معاناتهن من ظاهرة التحرش الجنسي!

وطالب المؤتمر الإقليمي بإصدار قانون عربي موحد لتجريم التحرش الجنسي، وتكثيف الحملات التي تتحدث عن الظاهرة الخطيرة، والالتزام بالصراحة والشفافية والتثقيف والتوعية عبر وسائل الإعلام وفي المدارس والجامعات، وتوفير خطوط ساخنة مع المختصين النفسيين لمساعدة الضحايا لتجاوز الآثار النفسية والعصبية، ومساعدة ضحايا العنف الأسري وخادمات المنازل اللاتي يتعرضن للإساءة الجسدية.

وانتقد المؤتمر عدم الاهتمام الكافي بظاهرة التحرش الجسدي على المستوى الرسمي ومحاولة إنكارها كونها ظاهرة تستحق الاهتمام والعمل على مستوى التغير الاجتماعي ونشر الوعي والتحرك لمواجهتها تشريعيًّا، ورصد الدراسات والتقارير التي تعكس حجم هذه الظاهرة، وأسبابها، وآثارها في كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، وسبل المواجهة.

وأكد المؤتمر الإقليمي العربي الذي تم تنظيمه بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للسكان، والوكالة السويدية للتنمية الدولية، وعدد من منظمات حقوق الإنسان العربية، أنه على الرغم من انتشار التحرش الجنسي في كل الأقطار العربية، فإن عددًا قليلًا من الدول العربية هي التي تنبهت لخطورة الظاهرة التي تُعدّ ظاهرة مجتمعية عالمية تعانيها كل المجتمعات الإنسانية بكل فئاتها سواء كانت متقدمة أم نامية، وأن الدول العربية تعاني أزمات التحرش الجنسي.

فقد أكدت الدراسات والتقارير أن ٩٠٪ من النساء في اليمن اشتكين من تعرضهن للتحرش سواء في الأماكن العامة أو أماكن العمل، وأن ٨٣٪ من النساء المصريات قد تعرضن بالفعل لشكل أو لآخر من أشكال التحرش الجنسي، وأن ٢٧٪ من الفتيات الجزائريات الجامعيات أكدن تعرضهن للمضايقات الجنسية من قبل مدرسيهن، واشتكى ٦ , ٤٤٪ منهن من المضايقات اللفظية، بينما أفصحت ٨ , ١٣٪ عن تعرضهن للتحرش الجنسي، وفي قطر ١ , ٢١٪ من الفتيات أفصحن عن تعرضهن للمشكلة نفسها، وأن ٣٠٪ من النساء العاملات قد تعرضن للتحرش الجنسي في مكان العمل،، وفي لبنان ثلث النساء تعرضن لحوادث التحرش أو الاعتداء أو الإساءة اللفظية، وأن ٨٠٪ من الاعتداءات الجنسية في المغرب تقع على القاصرات دون سن الرشد القانونية، ويحتل الاغتصاب والتحرش الجنسي المرتبة الأولى في

الجرائم الجنسية، وكشفت الدراسات التي طرحت في المؤتمر عن أنواع التحرش الجنسي في كل من سلطنة عمان والكويت وتونس والبحرين!

وأوضح (مؤتمر التحرش الجنسي كعنف اجتماعي وأثره في النساء في المنطقة العربية) أن هناك عددًا من الآثار النفسية التي تصاب بها ضحايا التحرش، ومنها: الإحباط، والقلق، ونوبات من الرعب، وتوتر عصبي، وندرة في النوم مع أحلام مزعجة، وإحساس بالذنب والعار، وارتفاع في ضغط الدم وصعوبة الهضم، وعدم الثقة في النفس أو الغير، والاكتئاب والانعزال، وقد يصل إلى محاولة الانتحار، ويزداد الأمر تعقيدًا عندما تدرك الضحية عدم وجود أي سند قانوني ترتكز عليه لوقف التحرش![1].

## خامسًا: الزواج العرفي

هذه الظاهرة كارثة اجتماعية وانتكاسة أخلاقية ونتيجة طبيعية لعدم الرجوع إلى شرع الله، والتسمية الأقرب لها هي الزواج السري؛ لأن هذه العلاقة تتم سرًّا بعيدًا عن عيون الأهل والأقارب، وقد ذهب الجماهير من السلف والخلف إلى أن الولي شرط في صحة النكاح[2].

وقال ابن المنذر: إنه لا يعلم مخالفًا من الصحابة له[3].

فإذا زوجت المرأة نفسها فنكاحها باطل.

---

(1) http/nesasy.org/intro_95/8334_6576

(٢) **بداية المجتهد** لابن رشد (٢/ ٨)، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، الأم للشافعي، (٥/ ١٣)، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، المغني (٧/ ٣٣٧)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٣) **الزواج في ظل الإسلام**، عبدالرحمن عبدالخالق، (ص٧٤)، نشر الدار السلفية، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

وما يحدث من اختلاط بين الذكور والإناث في مؤسساتنا التعليمية يساعد على انتشار ظاهرة الزواج السري، وإذا أضفنا إلي ذلك ما يصاحب هذا الاختلاط من الإثارة للغريزة الكامنة في الشباب بلبس الطالبات المثير من الملابس الضيقة الفاتنة، فتحولت محاريب العلم وتعلم الفضيلة إلى أماكن لعرض الأزياء، فلا يجد الشاب تجاهه إرواء شبقه الجسدي المثار كل لحظة إلا في إحدى طريقتين:

- **الأولى**: البحث عن بائعات الهوى والساقطات، فينزلق إلى الفاحشة.
- **الثانية**: الزواج السري موهمًا نفسه والفتاة بشرعيته (وكلاهما حرام فاحش).

وقصة أسردها في هذا المقام لفتاة خدعها زميل، وأسمعها ما يعجب البنات، ويستميل القلوب، وأنه سيظل حبيبًا إلى الأبد، ثم تزوجا زواجًا عرفيًّا، فماذا بعد؟ انتقل هو وأسرته من القاهرة إلى الإسكندرية، ثم جاءته فرصة سفر إلى أوروبا، فأصرت والدته على أن يتزوج قبل سفره، فما فكر أن يصحح خطأه، ويتزوج المسكينة أو على الأقل أن يطلقها؛ لكي تتزوج بل تزوج غيرها ليتركها للذهول والتشرد بعد ضياع مستقبلها العلمي والاجتماعي، ليتركها تعمل بائعة في محل للعب الأطفال الذين حرمت أن يكون لها مثلهم، وكان أصحاب المحل يطلقون عليها (الأرملة الشابة) وشاء قدر الله تعالى أن يسوق هذا الشاب بعد فترة إلى هذا المحل مع زوجته وأولاده الصغار لتكون الصدمة النفسية لها؛ لأنها لا تستطيع أن تخبر أهلها، فهي قد تزوجت سرًّا دون علمهم، وكذلك فهي ترد كل من تقدم إليها؛ لأنها على ذمة رجل آخر.

ونحن الآن سنورد بعض الإحصاءات التي تكشف جانبًا من المشكلة، ولنأخذ مصر مثالًا؛ وذلك لكونها أقدم بلد عربي مسلم بدأ فيه الاختلاط في الجامعات، ولكثرة الطلاب والطالبات الملتحقين بالجامعات المصرية هناك، ففي دراسة حديثة أجراها المجلس القومي للسكان وجامعة القاهرة والجامعة الأمريكية عن شيوع الزواج السري بين الشباب، وهو ما يسمي خطأ الزواج العرفي!

وتقول الإحصاءات: إن هناك ٤٠٠ ألف حالة زواج سري بين الشباب المصري الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ إلى ثلاثين عامًا! وأضافت الدراسة أن نسبة الزواج السري بين طلاب الجامعات المصرية تصل إلى ٦٪.

إذ تؤكد الدراسة أنها في تزايد مستمر، وتنتشر في أوساط المجتمع المصري كانتشار النار في الهشيم، كان أدعى لأن يفتح الملف من جديد وربما بشدة مع بدء العام الدارسي للفت النظر في كل بيت وبين جنبات كل أسرة مصرية وعربية تجاه هذه الظاهرة الجديدة القديمة التي تتخذ في الاتساع. الدراسة التي كشف عنها المجلس القومي للسكان بالتعاون مع الجامعة الأمريكية بالقاهرة أكدت أن عدد حالات الزواج العرفي في مصر يزيد على ٤٠٠ ألف حالة سنويًّا.

ولنا أن نتصور ضعف هذا الرقم أو ثلاثة أضعافه على الأقل إذا ما عرفنا أن معظم حالات الزواج العرفي تتم في الخفاء بلا إشهار أو إعلان، ويكتب عقد الزواج على ورق المحاضرات والدروس الخصوصية. في أحيان كثيرة لا يكتشف الأمر إلا بالمصادفة البحتة، أو لا يكتشف من الأساس؛ لأن الموضوع يتم في إطار من السرية التامة وبشهود يتم استئجارهم من على نواصي الشوارع أو المقاهي أو حتى طلبة الفصل الواحد في المدارس الثانوية والإعدادية أيضًا! الدراسة احتوت على كثير من النقاط المهمة، لعل أهمها أسباب إقبال الشباب على الزواج العرفي مع أن معظمهم يعلم أنه زواج بلا مستقبل أو أي ضمانات اجتماعية أو قانونية، وفي أحيان كثيرة يكون مجرد غطاء شرعي لإقامة علاقة بين طرفي العقد حتى يحللا هذه العلاقة. المثير في الدراسة أنها تحمّل وسائل الإعلام المرئي مسؤولية كبيرة لإقبال الشباب على الزواج العرفي، وذلك من خلال المسلسلات والأفلام والكليبات والإعلانات التجارية أيضًا التي تحتوي على كثير من المشاهد التي يصفها بعضهم بالمثيرة والمحركة للغرائز في الوقت الذي لا يجد فيه هؤلاء الشباب أي وسيلة للتنفيس عن غرائزهم ورغباتهم

إلا بالـزواج العرفي خوفًا من الحـرام بعد أن أصبح الـزواج الشرعي مقصورًا على المقتدرين، أو بمعنى أصح الأثرياء، نظرًا للظروف الاقتصادية الصعبة المتمثلة في أزمة الإسكان والعمل وارتفاع الأسعار بشكل جنوني.

عقود الزواج الوهمية تتراوح أسـعارها ما بين ٣ الـ ١٠ جنيهات للعقد بحسـب حالة الزوج، هل هو طالب ثانوي ما زال يأخذ مصروفًا صغيرًا من والديه، أم طالب جامعة له مصروف أكبر؟!(١).

### سادسًا: الاستمناء

فالاسترسـال مع هذه الصور من الاختـلاط يؤدي إلى التصريف عن الشـهوة بالاستمناء من كلا الجنسـين، ولخطورة هذه العادة، فإن عامة العلماء وجمهور الأئمة اجتمعـوا على تحريم هـذه العادة القبيحة، ومـن أدلتهم قوله تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ـ٧].

وكلمة ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ تشـمل كل شيء سـوى مباشرة الزوجات وملك اليمين، فيدخل فيها الزنا واللواط والسـحاق والاستمناء، واستدل بها بعض أهل العلم على تحريم الاسـتمناء؛ لأنه من الـ(وراء) لما ذكر، فهو حرام عنـد الجمهور، وخالفهم غيرهم(٢).

وهذه العادة القبيحة فوق ما فيها من حرمة وتعريض لغضب الله لها أضرار خطيرة، فهي تسلب القوة، وتضعف الأجهزة الجنسية، وتسبب الضعف الجنسي؛ ولذلك فإن

(١) **جريدة الشرق الأوسط**، الخميس ١١ شعبان ١٤٢٦هـ، ١٥ سبتمبر ٢٠٠٥م، العدد ٩٧٨٨.
(٢) **حسن الأسوة لصديق خان**، (١/ ١٤٠)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

فاعلها سيشـــعر بأول حسرتها بعد الزواج، حيث تخونه قوته وشهوته التي بددها من قبل، والجزاء من جنس العمل، ولها أضرار جسدية أخرى كثيرة، وكذلك هذه العادة ضارة بالفتاة، فقد تتسبب في تهتك غشـــاء البكارة أو افتضاضه فضلًا على مشكلاتها النفسية والاجتماعية.

### سابعًا: الزنا واللواط

ولا شـــك أن من دواعي الزنا القوية الاختلاط، فـــإذا كان الطالب والطالبة قليلي الديانة، وليس لديهما الوازع الديني الذي يزعهما عن فعل هذه الفاحشـــة وقعا فيها لا محالة، والغالب أن الفتاة هي التي تكون الضحية، وذلك عن طريق إغرائها بمعسول الكلام والوعود الوردية الوهمية التي يدغدغ بها الشاب عواطف الفتاة حتى إذا قضى نهمه منها ألقاها بحثًا عن غيرها، وأحيانًا يلجؤون إلى اللواط عوضًا عن الزنا؛ وذلك لخوف الفتاة من افتضاض بكارتها أو حملها، وتظن أن هذا أسلم من الأول ولا حول ولا قوة الا بالله، إلى هذا الحد وصلت أخلاق طلابنا وطالباتنا؟ إلى مثل هذا الحضيض الذي يترفع عنه حتى الحيوان البهيم الذي لا عقل له!